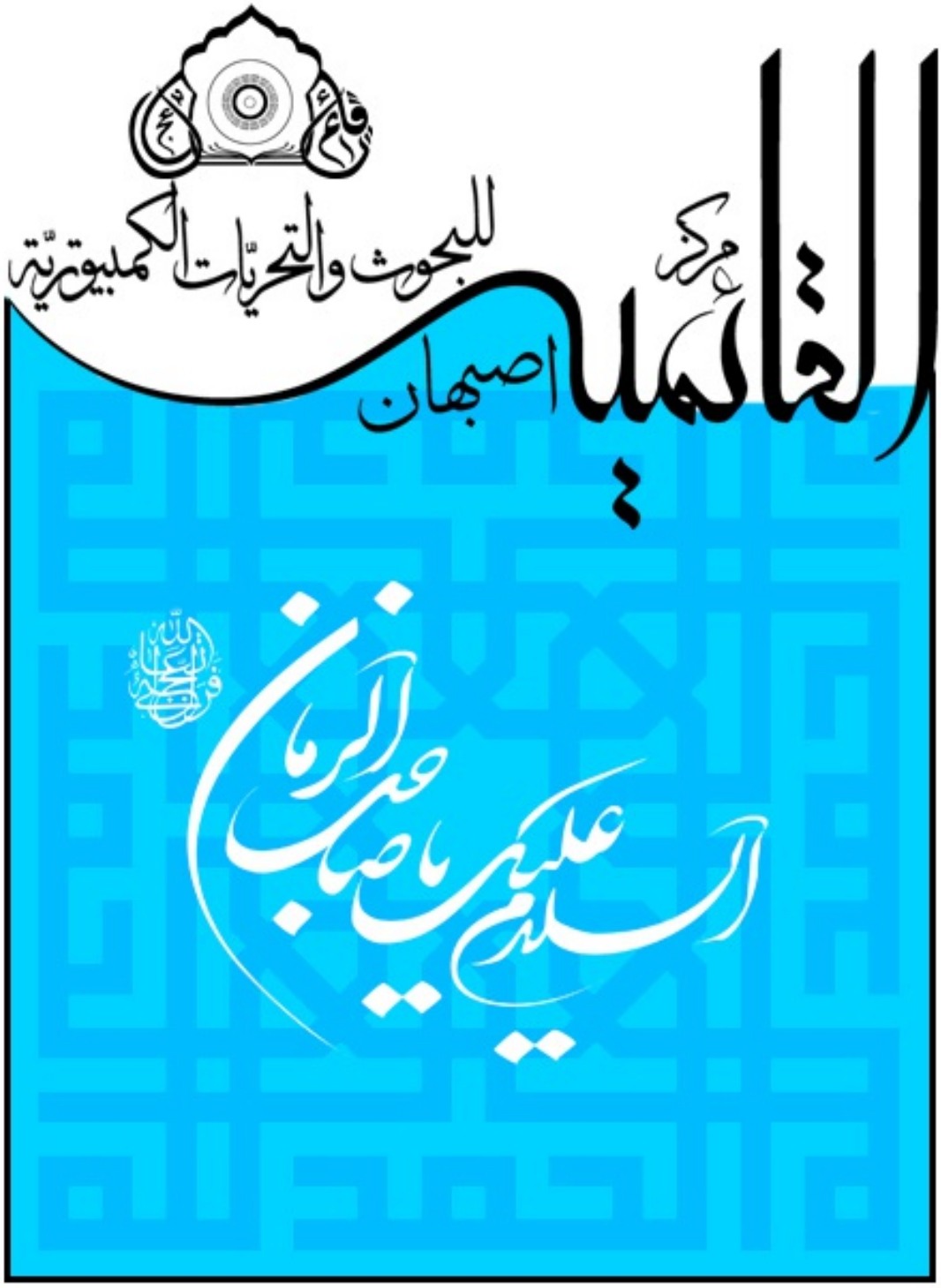


www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# الاقسام فى القرآن الكريم

جعفر السبحانى

بسم الله الرحمن الرحيم

# الاقسام فی القرآن الکریم

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله )

نشرت فی الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
الاقسام فی القرآن الکریم ----- ۷
اشارة ----- ۷
مقدمة المؤلف : القرآن والآفاق اللامتناهیة ----- ۷
بحوث تمهیدیة فی أقسام القرآن ----- ۹
القسم الاَوّل: القسم المفرد ----- ۱۸
الفصل الاَوّل ----- ۱۸
الفصل الثانی ----- ۲۱
الفصل الثالث ----- ۲۸
الفصل الرابع ----- ۳۲
الفصل الخامس ----- ۳۹
الفصل السادس ----- ۴۱
الفصل السابع ----- ۴۲
الفصل الثامن ----- ۴۴
القسم الثانی: القسم المتعدّد ----- ۴۵
الفصل الاَوّل ----- ۴۵
الفصل الثانی ----- ۴۸
الفصل الثالث ----- ۵۱
الفصل الرابع ----- ۵۳
الفصل الخامس ----- ۵۷
الفصل السادس ----- ۵۹
الفصل السابع ----- ۶۰
الفصل الثامن ----- ۶۵

الفصل التاسع ----- ۶۷
الفصل العاشر ----- ۶۹
الفصل الحادی عشر ----- ۷۲
الفصل الثانی عشر ----- ۷۳
الفصل الثالث عشر ----- ۷۶
الفصل الرابع عشر ----- ۷۷
الفصل الخامس عشر ----- ۸۰
الفصل السادس عشر ----- ۸۲
الفصل السابع عشر ----- ۸۶
الفصل الثامن عشر ----- ۸۶
الفصل التاسع عشر ----- ۸۸
الفصل العشرون ----- ۹۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۹۵

# الاقسام فی القرآن الکریم

## اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نام پدیدآور : الاقسام فی القرآن الکریم دراسه مبسطه حول الاقسام الوارده فی القرآن الکریم تالیف جعفر السبحانی
مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق ع ، ۱۴۲۰ ق = ۱۳۷۸.
مشخصات ظاهری : ص ۲۰۰
شابک : ۹۶۴-۶۲۴۳-۶۹-X۶۵۰۰ریال وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس عنوان دیگر : دراسه مبسطه حول الاقسام الوارده فی القرآن الکریم موضوع : سوگند در قرآن شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع
رده بندی کنگره : BP۱۰۴/س۹۳ س۲ ۱۳۷۸
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵۹
شماره کتابشناسی ملی : م۷۸-۱۲۹۱۰

## مقدمة المؤلف : القرآن والآفاق اللامتناهیة

مقدمة المؤلف : القرآن والآفاق اللامتناهیة ( ۲ )

الأقسام فی القرآن

دراسة مبسطة حول الأقسام الواردة فی القرآن الکریم

تألیف

العلّامة المحقّق

جعفر السبحانی ( ۳ )

( ۴ )

( ۵ ) بسم اللّه الرحمن الرحیم القرآن والآفاق اللامتناهیة

الحمد للّه الذی علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم یعلم، والصلاة والسلام علی سیدنا ونبیّنا محمّد خیر من طاف الأرض وحکم، وعلی آله الأئمّة السادة هداة الأمّة إلی الطریق الأقوم.

نزل القرآن الکریم علی قلب سید المرسلین هادیاً للإنسان ومنیراً له طریق السعادة، وقد وضع علماء الإسلام علوماً جمة لفهم حقائقه وکشف أسراره ومعانیه، وعلی الرغم من ذلک، لم یزل المفسرون فی کلّ عصر یستخرجون منه حقائق غفل عنها الأقدمون، وکأنّ الإنسان أمام بحر موّاج بالحقائق العلمیة لا یُدرک غوره ولا یتوصل إلی أعماقه، ولا یمکن لأحد الإحاطة بأسراره وعجائبه.

وکأنّ القرآن هو النسخة الثانیة لعالم الطبیعة الذی لم یزل یبحث عن أسراره الباحثون، وهم بعد فی الأشواط الأُولی من الوقوف علی حقائقه الکامنة. ولا غروَ أن یکون الکتاب العزیز کذلک أیضاً، لأنّه کتاب صدر من لدن حکیم علیم لا نهایة لوجوده وعلمه، فیجب أن یکون کتابه المنزّل رشحة من رشحات وجوده.

وهذا هو متکلّم قریش وخطیبهم الولید بن المغیرة المخزومی لمّا جلس إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وسمع شیئاً من آیات سورة غافر ، ذهب إلی

( ۶ )

قومه ليبيّن موقفه من الكتاب، وقال: واللّه قد سمعت من محمّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وانّ له لحلاوة، وانّعليه لطلاوة، وانّ أعلاه لمثمر، وإنّأسفله لمغدق، وانّه ليعلو وما يعلى عليه. (١)

فقد أدرك مُنطيق قريش بصفاء ذهنه ما يحتوى عليه القرآن من أسرار وكنوز.

نعم، قد سبقه رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ذلك حيث عَرّف القرآن، بقوله:

«له ظهر وبطن، وظاهره حُكْم، وباطنُه عِلْم، وظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة». (٢)

وقد أفاض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى بيان أبعاد القرآن غير المتناهية، وقال فى خطبة يصف فيها القرآن بقوله: «أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره ـ إلى أن قال: ـ و ينابيع العلم و بحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافى الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون». (٣)

وقد أثبت توالى التأليف حول القرآن الكريم على مختلف الأصعدة، انّه كتاب القرون والأعصار، وحجّة خالدة للناس إلى يوم القيامة، وقد استحوذ الكتاب العزيز على اهتمام بالغ لم يَحظ به أى كتاب آخر_____.

١ ـ مجمع البيان:١٠|٣٨٧.

٢ ـ الكافى:٢|٥٩٩، كتاب القرآن.

٣ ـ نهج البلاغة: ٢|٢٠٢، طبعة عبده.

( ٧ ) إلماع إلى بعض آفاقه اللا متناهية إنّ من آفاق القرآن و معانيه السامية هو أقسامه، فقد أقسم القرآن الكريم بأُمور مختلفة ربما يبلغ عدد أقسامه إلى أربعين حلفاً أو أكثر، وتمتاز عن الأقسام الرائجة فى العصر الجاهلى بأنّها انصبت على ذوات مقدسة أو ظواهر كونية ذات أسرار عميقة، فى حين امتاز القسم فى العصر الجاهلى بالحلف بالمغانى والمدام (١).

وجمال النساء، إلى غير ذلك من الأُمور المادية الساقطة. حلف سبحانه فى كتابه مضافاً إلى ذاته، بالقرآن ، الملائكة، النفس، الشمس، القمر، السماء، الأرض، اليوم، الليل، القلم، و غير ذلك من الموضوعات التى تحتوى على أسرار مكنونة، ويصحّ فى حقّها، قوله سبحانه: (وَانّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظيم) . (٢)

ينقل السيوطى انّ أوّل من أفرد أقسام القرآن بالتأليف هو شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفّى٧٥١هـ) ولم يذكر كتاباً غيره، ثمّ جمع السيوطى أقسام القرآن و جعله نوعاً من أنواع علومه، فبحث عنها بحثاً موجزاً لا يتجاوز عن خمس صفحات. (٣)

وقال الكاتب الچلبى فى «كشف الظنون» ـ بعد سرد ما قام به السيوطى ـ : وتبعه صاحب مفتاح الكرامة حيث أورده من فروع علم التفسير. (۴)

ولم نقف على كتاب مفرد حول أقسام القرآن فى الأوساط الشيعية مع ما

---

١ ـ المدام والمدامة: الخمر .

٢ ـ الواقعة:٧٨.

٣ ـ الإتقان فى علوم القرآن:۴|۴۶ـ ۵١.

۴ ـ كشف الظنون: ١|١٣٧ـ ١٣٨.

( ۸ )

فيها من بحوث هامة سوى ما ألّفه ولدى العزيز الروحانى الحائز على مقام الشهادة الشيخ أبو القاسم الرزاقى (۱) تحت عنوان «سوگندهاى قرآن»، و هو كتاب قيم حافل بنقل الآراء حول القسم فى القرآن، وقد طبع فى حياته بتقديم منّا تغمده اللّه برحمته وأسكنه فسيح جناته.

ثمّ إنّ ابن قيم الجوزية وإن كان أوّل من ألّف ـ حسب ما نعلم ـ ولكن كتابه يعوزه المنهجية فى البحث حيث لم يذكر الاَقسام الواردة واحداً تلو الآخر حسب حروف التهجّى أو حسب سور القرآن، وإنّما ذكر أقسام كلّسورة فى فصل واحد.

لكن ما ألّفه الشيخ الرزاقى خال من هذه النقيصة، فانّه ألّف كتابه على نمط التفسير الموضوعى، فجعل لكلّ حلف فصلاً خاصاً، وذكر جميع الآيات الواردة فى خصوص ذلك الحلف، مثلاً ـ ذكر الآيات التى أقسم اللّه فيها بنفسه فى فصل خاص، كما جمع ما أقسم اللّه فيه بالليل فى سور و آيات مختلفة فى مكان واحد.

ولما كان ما ألّفه ابن قيم غير خال عن النقيصة، كما أنّما ألّفه ولدنا البار لا ينتفع به القارئ العربى لاَنّه أُلّف باللغة الفارسية، عزمت على تأليف مفرد فى هذا الصدد بغية تعميم الفائدة.

وأردفه إن شاء اللّه بالبحث عن أمثال القرآن_____.

۱ ـ استشهد مع مجموعة من العلماء أثر إسقاط الطائرة التى كانت تقلّهم أثناء رحلةداخلية خلال الحرب العراقية الإيرانية من قبل النظام البعثى الغاشم عام ۱۴۰۸ هـ |ـ ۱۳۶۷هـ.ش.

( ۹ )

## بحوث تمهيدية فى أقسام القرآن

بحوث تمهيدية فى أقسام القرآن إنّ البحث عن الاَقسام الواردة فى القرآن الكريم رهن استعراض أُمور فى معنى القسم و ما يتبعه من المقسم به والمقسم عليه وأبحاث أُخرى، فنقول: ۱. تفسير القسم إنّ لفظة القسم واضحة المعنى تعادل الحلف واليمين فى لغة العرب، ولها معادل فى عامة اللغات وإنّما يوَتى به لاَجل تأكيد الخبر والمضمون، قال الطبرسى: القسم جملة من الكلام يوَكد بها الخبر بما يجعله فى قسم الصواب. (۱)

قال السيوطى : القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده، حتى جعلوا مثل: (وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقينَ لَكاذِبُون) (۲) قسماً، وإن كان فيه إخبار بشهادة، لاَنّه لمّا جاء توكيداً للخبر سمّى قسماً. (۳)

ولذلك نقل عن بعض الاَعراب، انّه لما سمع قوله تعالى: (وَفِى السَّماءِرِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ* فَوَرَبِّ السَّماءِوَالاَرْضِ انّهُ لَحَقّ) . (۴) صرخ وقال: من ذا الذى أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين. (۵)

---

۱ ـ مجمع البيان: ۵|۲۲۵.

۲ ـ المنافقون:۱.

۳ ـ الإتقان:۴|۴۶.

۴ ـ الذاريات:۲۲ـ ۲۳.

۵ ـ الإتقان:۴|۴۶.

( ۱۰ ) ۲. أركان القسم إنّ القسم من الاُمور ذات الإضافة وهو فعل فاعل مختار له إضافة إلى أُمور أربعة:

أ. الحالف، ب. ما يحلف به، ج. ما يحلف عليه، د. الغاية من القسم.

أمّا الاَوّل: فالحلف عبارة عن فعل الفاعل المختار، فلا يصدر إلّا منه سواء أكان واجباً كاللّه سبحانه أم ممكناً كالاِنسان وغيره.

والذى يتناوله بحثنا فى هذا الكتاب هو القسم الذى صدر عن الواجب فى كتابه العزيز دون سواه.

فلا نتعرض لما حلف به الشيطان فى القرآن وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لَاُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعين) . (۱)

ثمّ إنّ أدوات القسم عبارة عن الاُمور الاَربعة، أعنى: الباء والتاء والواو واللام، وأمثلة الكل واضحة، وأمّا الاَخير فكقول الشاعر:

للّهِ لا يبقى على الاَيام ذُو حيَدٍ * بمُشمَخر به الظيّانُ والآسُ (۲) وسيوافيك انّ حرف الباء يجتمع مع فعل القسم دون سائر الاَدوات، إذ يحذف فيها فعله، أعنى: أقسم.

وأمّا الثانى ـ أى ما يحلف به ـ :فانّلكلّ قوم، اُموراً مقدّسة يحلفون بها، وأمّا القرآن الكريم فقد حلَفَ سبحانه بأُمور تجاوزت عن الاَربعين مقسماً به.

وأمّا الثالث ـ أى ما يحلف عليه ـ :والمراد هو جواب القسم الذى يراد منه

---

۱ ـ ص :۸۲.

۲ ـ والحيد كعنب جمع حيدة وهو القرن فيه عقد، والمشمخر الجبل العالى،والظيّان الياسمين الصحرائى والآس شجر معروف.



التأكيد عليه وتثبيته وتحقيقه، وهذا ما يقال القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده.

ففى الآية التالية تتجلّى الاَركان الثلاثة، وتقول: (وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوت) . (۱)

فقوله: (وأقسموا) فهو الركن الاَوّل.

وقوله: (باللّه) هو المقسم به.

وقوله: (لا يبعث اللّه من يموت) هو المقسم عليه

وكثيراً ما يحذف الفعل وذلك لكثرة تردّد القسم فى كلامهم ويكتفى بالواو أو التاء فى أسماء اللّه.

نعم، يلازم الاِقسام بالباء ذكر الفعل، كما فى الآية السابقة، وقوله: (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرضُوكُمْ وَاللّهُ وَرسولُهُ أَحَقُّ أن يُرْضُوهُ) . (۲)

وعلى ضوء ذلك فباء القسم يلازم مع ذكر فعله، كما أنّواو القسم وتاءه يلازم مع حذفه، فيقال: أقسم باللّه، ولا يقال: أقسم تاللّه أو أقسم واللّه بل يقتصر على قوله: تاللّه، واللّه، يقول سبحانه: (وَتَاللّهِ لَاَكِيدَنّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أن تُوَلُّوا مُدْبِرين) (۳)، وقوله: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلّا أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكين).(۴)

---

۱ ـ النحل:۳۸.

۲ ـ التوبة: ۶۲.

۳ ـ الاَنبياء:۵۷.

۴ ـ الاَنعام:۲۳.



وثمة نكتة جديرة بالاِشارة وهى أنّأكثر المفسرين حينما تطرّقوا إلى الاَقسام الواردة فى القرآن الكريم ركّزوا جهودهم لبيان ما للمقسم به من أسرار و رموز كالشمس والقمر فى قوله سبحانه: (والشَّمْسِ وَضُحاها * وَالْقَمرِ إِذا تَلاها) (۱) أو قوله: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون) (۲) ولكنّهم غفل والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه لاحظ مثلاً قوله سبحانه: (وَالضُّحى* وَاللّيلِ إِذا سَجى* ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) (۳) فالضحى والليل مقسم بهما وقوله: (ما ودَّعك ربّك وما قلى) هو جواب القسم الذى نعبّر عنه بالمقسم عليه، فهناك صلة فى

الواقع بين المقسم به والمقسم عليه، وهو أنّه لماذا لم يقسم بالشمس ولا بالقمر ولا بالتين ولا بالزيتون بل حلف بالضحى والليل لَاجل المقسم عليه أعنى قوله: ( ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى)؟

وصفوة القول: إنّ كلّ قسم جدير لتحقيق الخبر، ولكن يقع الكلام فى كلّقسم ورد فى القرآن الكريم أنّه لماذا اختار المقسم به الخاص دون سائر الاُمور الكثيرة التى يقسم بها؟ فمثلاً: لماذا حلف فى تحقيق قوله: (ما ودّعك) بقوله: (والضحى والليل) ولم يقسم بالشمس والقمر؟ وهذا هو المهم فى بيان أقسام القرآن، ولم يتعرّض له أكثر المفسرين ولا سيما ابن قيم الجوزية فى كتابه «التبيان فى أقسام القرآن» إلّا نزراً يسيراً.

ثمّ إنّ الغالب هو ذكر جواب القسم، وربما يحذف كما يحذف جواب لو كثيراً، أمّا الثانى فكقوله سبحانه: (وَلَو أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ

---

۱ ـ الشمس: ۱ـ۲.

۲ ـ التين:۱.

۳ ـ الضحى: ۱ـ۳.



الَارْضُ أَوْكُلِّمَ بِهِ الْمَوتى) (۱) فانّ الجواب محذوف، وهو نظير قوله: «لما آمنوا».

وأمّا الاَوّل، فكقوله سبحانه: (ص والقُرآنِ ذى الذِّكر ) (۲)، فانّ الحلف بالقرآن الكريم المعرب عن تعظيمه ووصفه بأنّه مذكِّر للعباد يدل على جوابه وهو انّه منزّل من عنده سبحانه غير مفترى، وما أشبه ذلك.

وعلى كلّحال، فالغالب هو الاَوّل أى الاِتيان بالجواب.

إلى هنا تمّ بيان أركان القسم الثلاثة، وثمة ركن رابع، وهو الغاية المتوخّاة من القسم، فنقول: إنّ الغاية إمّا هى تحقيق الخبر ودعوة المخاطب إلى الاِيمان والاِذعان به، كما هو الغالب، أو إلفات النظر إلى عظمة المقسم به، وما يكمن فيه من أسرار ورموز، أو لبيان قداسته وكرامته، كما فى قوله:(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون) . (۳)

ومن خلال هذا البيان، يتضح الجواب على ما ربما يقال من أنّحلفه سبحانه إن كان لَاجل المؤمن فهو يصدقه بلا حلف، وإن كان لَاجل الكافر فلا يفيده.

والجواب: انّ إيمان المؤمن بصدق إخباره سبحانه لا ينافى تأكيده بالحلف، مضافاً إلى ما عرفت من أنّ حلفه سبحانه بشىء إشارة إلى كرامته وقداسته أو إلى عظمته وما يكمن فيه من أسرار ورموز_____.

۱ ـ الرعد:۳۱.

۲ ـ ص:۱.

۳ ـ الحجر:۷۲.

 ۳. جواز الحلف بغير اللّه سبحانه تضافر الحلف بغيره سبحانه فى الكتاب العزيز والسنّة النبوية، أمّا الكتاب فسيوافيك حلفه بأشياء كثيرة، وأمّا السنّة فقد حلف النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» فى غير مورد بغير اسم اللّه.

۱. فقد أخرج مسلم فى صحيحه: أنّه جاء رجل إلى النبى ، فقال: يا رسول اللّه أى الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما ـ و أبيك ـ لتنبئنّه أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء». (۱)

۲. أخرج مسلم أيضاً: جاء رجل إلى رسول اللّه ـ من نجد ـ يسأل عن الاِسلام، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «خمس صلوات فى اليوم والليل».

فقال: هل علىَّ غيرهنّ؟

قال: «لا...إلاّ أن تطوع»، وصيام شهر رمضان».

فقال: هلّ علىَّ غيره؟

قال: «لا... إلاّ تطوّع، وذكر له رسول اللّه الزكاة.

فقال الرجل: هل علىّ غيره؟

قال: «لا... إلاّ أن تطوّع».

فأدبر الرجل وهو يقول: واللّه لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «أفلح ـ وأبيه ـ إن صدق».

أو قال: «دخل الجنة ـ و أبيه ـ إن صدق». (۲)

---

۱ ـ صحيح مسلم:۳|۹۴، باب أفضل الصدقة من كتاب الزكاة.

۲ ـ صحيح مسلم:۱|۳۲، باب ما هو الاِسلام.



وقد حلف غير واحد من الصحابة بغيره سبحانه، فهذا أبو بكر بن أبى قحافة على ما يرويه مالك فى موطّئه: أنّ رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبى بكر فشكا إليه أنّ عامل اليمن قد ظلمه، فكان يصلى من الليل، فيقول أبو بكر: «وأبيك ما ليلك بليل سارق». (۱)

وهذا على بن أبى طالب (عليه السلام) قد حلف بغيره سبحانه فى غير واحد من خطبه:

۱. «ولعمرى ما عليّمن قتال من خالف الحق وخابط الغى من إدهان ولا إيهان». (۲)

۲. «ولعمرى ما تقادمت بكم ولا بهم العهود». (۳)

إلى غير ذلك من الاَقسام الواردة فى كلامه (عليه السلام) وسائر أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) .

نعم ثمة أحاديث استدل بها على المنع عن الحلف بغير اللّه، غير أنّها ترمى إلى معنى آخر كما سيوافيك. الحديث الاَوّل إنّ رسول اللّه سمع عمر، وهو يقول:وأبى، فقال: «إنّ اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف باللّه أو يسكت». (۴)

والجواب: انّالنهى عن الحلف بالآباء قد جاء لاَنّهم كانوا ـ فى الغالب ـ مشركين وعبدة للاَوثان فلم يكن لهم حرمة ولا كرامة حتى يحلف أحد بهم،

---

۱ ـ شرح الزرقانى على موطأ مالك: ۴|۱۵۹ برقم ۵۸۰.

۲ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۲۳و۸۵.

۳ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۲۳و۸۵.

۴ ـ سنن ابن ماجة: ۱|۲۷۷؛ سنن الترمذى: ۴|۱۰۹.



ولاَجل ذلك نرى أنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل آباءَهم قرناء مع الطواغيت مرّة، وبالاَنداد ـ أى الاَصنام ـ ثانية، وقال: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت». (۱)

وقال أيضاً: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأُمهاتكم ولا بالاَنداد». (۲)

وهـذان الحـديثان يوَكـدان على أنّالمنهى عنه هو الحلف بالآباء الكافرين الـذين كانوا يعبـدون الاَنداد والطواغيت، فأين هو من حلف المسـلم بالكعبـة والقرآن والاَنبياء والاَولياء فى غير القضاء والخصومات؟ الحديث الثانى جاء ابنَ عمر رجل فقال: أحلف بالكعبة؟ قال له: لاـ ولكن إحلـف بربِّ الكعبـة، فـانّ عمر كـان يحلـف بـأبيه، فقـال رسـول اللّه له: «لاـ تحلف بأبيـك، فـانّ من حلف بغير اللّه فقد أشرك». (۳)

إنّ الحديث يتألف من أمرين:

أ: قول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حلف بغير اللّه فقد أشرك».

ب: اجتهاد عبد اللّه بن عمر، حيث عدّ الحلف بالكعبة من مصاديق حديث النبى(صلى الله عليه وآله وسلم).

أمّـا الحـديث فنحن نـذعن بصـحته، والقـدر المتيقن من كلاـمه ما إذا كان المحلوف به شـيئاً يعـد الحلف به شـركاً كالحلف بالاَنـداد والطواغيت والآبـاء الكـافرين. فهـذا هو الـذى قصـده النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ولاـ يعم الحلف بالمقـدسات كالقرآن وغيره.

---

۱ ـ سنن النسائى: ۷|۷؛ سنن ابن ماجة: ۱|۲۷۸.

۲ ـ سنن النسائى:۷|۹.

۳ ـ سنن النسائى: ۷|۸.



وأمّا اجتهاد ابن عمر حيث عدّالحلف بالكعبة من مصاديق الحديث، فهو اجتهاد منه وحجّة عليه دون غيره.

وأمّا انّ الرسول عدّحلف عمر بأبيه من أقسام الشرك فلاَجل أنّ أباه كان مشركاً، وقد قلنا إنّالرواية ناظرة إلى هذا النوع من الحلف.

ومجمـل القول: إنّ الكتـاب العزيز هو الاُسوة للمسـلمين عبر القرون، فإذا ورد فيه الحلف من اللّه سـبحانه بغير ذاته سـبحانه من الجماد والنبات والاِنسان فيسـتكشف منه أنّه أمر سائغ لا يمت إلى الشـرك بصـلة، وتصوّر جوازه للّه سبحانه دون غيره أمر غير معقول، فانّه لو كان حقيقة الحلف بغير اللّه شركاً فالخالق والمخلوق أمامه سواء.

نعم الحلف بغير اللّه لا يصحّ فى القضاء وفضّ الخصومات، بل لابدّمن الحلف باللّه جلّجلاله أو بإحدى صـفاته التى هى رمز ذاته، وقد ثبت هذا بالدليل ولا علاقة له بالبحث.

وأمّا المذاهب الفقهية فغير مجمعين على أمر واحد.

أمّا الحنفية، فقالوا: بأنّالحلف بالاَب والحياة، كقول الرجل: وأبيك، أو: وحياتك وما شابه، مكروه.

وأمّا الشافعية، فقالوا: بأنّالحلف بغير اللّه ـ لو لم يكن باعتقاد الشرك ـ فهو مكروه

وأمّا المالكية، فقالوا: إنّفى القسم بالعظماء والمقدسات ـ كالنبى و الكعبة ـ فيه قولان: الحرمة والكراهة، والمشهور بينهم: الحرمة.



وأمّا الحنابلة، فقالوا: بأنّ الحلف بغير اللّه وبصفاته سبحانه حرام، حتى لو كان حلفاً بالنبى أو بأحد أولياء اللّه تعالى.

هذه فتاوى أئمّة المذاهب الاَربعة (۱) ولسنا الآن بصدد مناقشتهم.

وكان الحرى بفقهاء المذاهب الاَربعة ولا سيما فى العصر الراهن فتح باب الاجتهاد والرجوع إلى المسألة والنظر إليها بمنظار جديد إذ كم ترك السلف للخلف.

على أنّ نسبة الحرمة إلى الحنابلة غير ثابتة أيضاً، لاَنّ ابن قدامة يصرّح فى كتاب «المغنى» ـ الذى كتبه على غرار فقه الحنابلة ـ أنّ أحمد بن حنبل أفتى بجواز الحلف بالنبى، وأنّه ينعقد لاَنّه أحد ركنى الشهادة.

وقال أحمد: لو حلف بالنبى انعقد يمينه، فإن حنث لزمته الكفارة. (۲)

إكمال

قد ذكر السيوطى فى كتاب «الإتقان»، وقال: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهى عن القسم بغير اللّه؟

ثمّذكر أجوبة ثلاثة، وهى:

الأوّل: انّه على حذف مضاف، أى وربّالتين وربّ الشمس، وكذا الباقى.

الثانى: انّالعرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون_____.

۱ ـ انظر الفقه على المذاهب الأربعة:۲|۷۵، كتاب اليمين، مبحث الحلف بغير اللّهتعالى.

۲ ـ المغنى: ۱۱|۲۰۹.

( ۱۹ )

الثالث: انّالإقسام إنّما تكون بما يعظمه المقسم أو يُجلُّه وهو فوقه واللّه تعالى ليس شىء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته، لأنّها تدل على بارئ وصانع.

وقال ابن أبى الاصبع فى «اسرار الفواتح»: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع، لأنّ ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل

وأخرج ابن أبى حاتم، عن الحسن، قال: إنّ اللّه يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلّا باللّه. (۱)

ولا يخفى ضعف الأجوبة.

أمّا الأوّل: فانّمعنى ذلك إرجاع الأقسام المختلفة إلى قسم واحد وهو الرب، مع أنّه سبحانه تارة يقسم بنفسه، ويقول: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطين) (۲)، وأُخرى بالتين والزيتون والصافات والشمس، فلو كان الهدف القسم بالرب فما فائدة هذا النوع من الأقسام حيث يضيف نفسه إلى واحد من مخلوقاته؟ فانّالعظمة للّه لا للمضاف إليه، ولو كانت له عظمة فإنّما هى مقتبسة من الرب.

وأمّا الثانى: فمعنى ذلك أنّه سبحانه جرى على ما كان عليه العرب فى العصر الجاهلى، وقد هدم بعمله ما شرعه من النهى عن القسم بغير اللّه.

وأمّا الثالث: فيكتنفه كثير من الغموض، ولا يعلم كيفية رفع الإشكال، وأمّا ما نقله عن ابن أبى الاصبع فيرجع إلى المعنى الأوّل، وهو أنّ القسم بالمخلوق قسم بالخالق_____.

۱ ـ الإتقان:۴|۴۷.

۲ ـ مريم:۶۸.

( ۲۰ )

وما نقله عن ابن أبى حاتم، من أنّ اللّه يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلّا باللّه، أمر غير واضح، لأنّإقسام المخلوق بغير اللّه لو كان من مقولة الشرك فالقاعدة لا تقبل التخصيص، فيكون قسمه سبحانه بغير اللّه أيضاً شركاً وعبادة.

وإن كان قسمه سبحانه لأجل بيان قداسته وعظمته أو الأسرار المكنونة فيه، فهو أمر مشترك بين الخالق والمخلوق.

والجواب: انّالنهى عن الحلف بغير اللّه مختص بالطواغيت والأنداد والمشركين من الآباء، وأمّا غيرهم فلم يرد فيهم نهى. منهجنا فى تفسير أقسام القرآن إنّه سبحانه تبارك و تعالى حلف بذوات مقدسة بما يربو على الأربعين مرة، فتفسيرها يمكن أن يتم باحدى الصور التالية:

أ: أن نتناول تلك الأقسام بالبحث طبق حروف التهجى ككتاب اللغة.

ب: أن نتناولها بالبحث حسب أفضلية المقسم به، فنقدم الحلف باللّه أو الرب على الحلف بعمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وحياته، وهو على الحلف بالملائكة، وهكذا، وعلى ذلك يجب عقد واحد وأربعين فصلاً على النحو التالى:

۱. الحلف بلفظ الجلالة وفيه فصلان:

أ.الحلف بلفظ الجلالة.

ب.الحلف بالرب.

( ۲۱ )

۲. الحلف بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفيه فصلان:

أ.بعمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

ب. شاهد

۳. الحلف بالقرآن، وفيه فصلان:

أ. بالقرآن

ب. بالكتاب

۴. الحلف بالملائكة، وفيه أربعة فصول:

أ. الصافات، الزاجرات، التاليات.

ب. الذاريات، الحاملات ، الجاريات، المقسمات.

ج. المرسلات، العاصفات، الناشرات، الفارقات، الملقيات

د. النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات.

۵. الحلف بالقلم وفيه فصلان:

أ.القلم

ب. وما يسطرون

۶. الحلف بالقيامة، وفيه ثلاثة فصول:

أ. القيامة

ب. اليوم الموعود

ج. مشهود

( ۲۲ )

۷. الحلف بالنفس

۸. الحلف بالشفع والوتر

۹. الحلف بالولد والوالد.

۱۰. الحلف بالاَمكنة، وفيه ثلاثة فصول:

أ. الحلف بالبلد الاَمين

ب. الحلف بطور سينين

ج. الحلف بالبيت المعمور

۱۱. الحلف بالاَزمنة، وفيه ثمانية فصول:

أ. الحلف بالصبح

ب. الحلف بالفجر

ج. الحلف باليوم

د. الحلف بالضحى

هـ. الحلف بالنهار

و. الحلف بالشفق

ز. الحلف بالليل

ح. الحلف بالعصر

۱۲. الحلف بالأَرض والأَجرام السماوية، وفيه ثمانية فصول:

أ. الحلف بالشمس وضحاها

( ۲۳ )

ب. الحلف بالكواكب.

ج. الحلف بالنجم

د. الحلف بمواقع النجوم

هـ. الحلف بالأَرض

و. الحلف بالقمر

ز. الحلف بالخنس الجوار

ح. الحلف بالطارق

۱۳. الحلف بالظواهر الجوية، وفيه أربعة فصول:

أ. الحلف بالسماء

ب. الحلف بالذاريات

ج. الحلف بالحاملات

د. الحلف بالجاريات

ج: أن نتناولها حسب السور القرآنية، فنفسر ما ورد من الأَقسام فى سورة الشمس مرة واحدة، أو نفسر ما ورد فى سورة الفجر أو البلد فى مكان واحد، وعلى ذلك يجب عقد عدة فصول حسب عدد السور التى ورد فيها الحلف.

وقد سلك ابن قيم الجوزية (المتوفّى ۷۵۱هـ) هذا المنهج، فراح يبحث عن أقسام القرآن حسب السور.

فابتدأ بتفسير الأَقسام الواردة بالنحو التالى:

۱. القيامة، ۲. الشمس، ۳. الفجر، ۴. البلد، ۵. التين، ۶. الليل، ۷. الضحى، ۸.

( ۲۴ )

العاديات ، ۹. العصر، ۱۰. البروج، ۱۱. الطارق، ۱۲. الانشقاق، ۱۳. التكوير، ۱۴. النازعات، ۱۵. المرسلات، ۱۶. القيامة، ۱۷. المدثر، ۱۸. الحاقة، ۱۹. المعارج، ۲۰. القلم، ۲۱. الواقعة، ۲۲. النجم، ۲۳. الطور، ۲۴. الذاريات، ۲۵. ق، ۲۶. يس، ۲۷. الصافات، ۲۸. الحجر، ۲۹. النساء.

فقد عقد ۲۹ فصلاً حسب عدد السور التى ورد فيها الأَقسام، وهذا المنهج لا يخلو من مناقشة، لأَنّه سبحانه ربما حلف بالرب فى سور مختلفة، فلو كان محور البحث هو السور يلزم عليه تكرار البحث حسب تعدد وروده فى السور المختلفة، وهذا بخلاف ما إذا جمع الآيات التى حلف فيها القرآن بربوبيته، ويبحث فيها دفعة واحدة، فهذا النوع من البحث يكون خالياً عن التكرار والتطويل.

مضافاً إلى أنّه لم يراع ترتيب السور حتى فيما اختاره من ذكر السور القصيرة متقدمة على السور الطويلة.

والعجب أنّه بحث عن الحلف الوارد فى سورة القيامة مرّتين. (۱)

د: وهناك منهج رابع سلكه ولدنا الروحانى الشهيد الشيخ أبو القاسم الرزاقى (قدس اللّه سره) فقد أفرد لكلّقَسَمٍ فصلاً خاصاً.

ويوَخذ على هذا المنهج أنّه سبحانه حلف فى بعض السور بموضوعات مختلفة، كسورة الشمس حيث حلف فيها بالشمس والقمر وفى الوقت نفسه بالنفس الاِنسانية وجعل للجميع جواباً واحداً.

وبما انّمن البحوث المهمة فى أقسام القرآن هو بيان الصلة بين المقسم به

---

۱ ـ تارة فى ص ۳۵ من كتابه المعروف «التبيان فى أقسام القرآن» تحت عنوانفصل «القسم فى سورة القيامة»، وأُخرى بنفس العنوان فى ص ۱۴۷، فلاحظ.



والمقسم عليه، فعلى ذلك المنهج يجب أن يتكرر البحث فى أكثر الفصول بالنسبة إلى أُمور حلف بها سبحانه مرّة واحدة وذلك كالشمس و القمر والنفس الاِنسانية، وهذا مستلزم للاِطناب.

ومن أجل أن نتلافى هذه المشكلة، نقول:

إنّ أقسام القرآن على قسمين:

الاَوّل: ما نطلق عليه الحلف المفرد، والمراد منه ما إذا حلف سبحانه بشىء مفرد و لم يضم إليه حلفاً آخر، سواء تكرر فى سور أُخرى أو لا ، مثلاً: حلف بعمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وحياته مرة واحدة ولم يقرن به حلفاً آخر، بخلاف لفظ الرب فقد حلف به مفرداً ولكنّه تكرر فى بعض السور.

الثانى: ما نطلق عليه الحلف المتعدد، والمراد منه ما إذا حلف سبحانه بأُمور مختلفة جمعها فى آية واحدة أو آيتين، وجعل للجميع جواباً واحداً، كالحلف بالشمس والقمر إلى أن يصل إلى النفس الاِنسانية.

فنعقد لكلّ حلف مفرد فصلاً على حدة، سواء تكرر بهذا النحو فى سور أُخرى أو لا، مراعين فى ذلك الاَفضل فالاَفضل فنقدم الحلف باللّه والرب على حياة النبى وعمره وهو على الملائكة.

وأمّا الحلف المتعدد فنعقد لكلّ سورة تضم ذلك الحلف فصلاً، كما عقدنا لسورة الشمس فصلاً، ولسورة الليل فصلاً آخر، وإن تكرر فيه المحلوف فيه أعنى الليل، و بذلك يمتاز هذا المنهج عن سائر المناهج المذكورة، ويجمع كافة محاسنها، ويصان عن المؤَاخذات التى ربما تطرح على المنهجين الاَخيرين.

وأخذنا بتقسيم الكتاب إلى قسمين وخصصنا القسم الاَوّل بالاَحلاف المفردة، والثانى بالاَحلاف المتعددة، وإليك إجمال فصول القسمين:



القسم الاَوّل، وفيه فصول:

الفصل الاَوّل: القسم بلفظ الجلالة.

الفصل الثانى: القسم بالربِّ.

الفصل الثالث: القسم بعمر النبى.

الفصل الرابع: القسم بالقرآن الكريم.

الفصل الخامس: القسم بالعصر.

الفصل السادس: القسم بالنجم.

الفصل السابع: القسم بمواقع النجوم.

الفصل الثامن: القسم بالسماء ذات الحبك.

القسم الثانى، وفيه فصول:

الفصل الاَوّل: القسم فى سورة الصافات

الفصل الثانى: القسم فى سورة الذاريات.

الفصل الثالث: القسم فى سورة الطور.

الفصل الرابع: القسم فى سورة القلم.

الفصل الخامس: القسم فى سورة الحاقة.

الفصل السادس: القسم فى سورة المدثر.

الفصل السابع: القسم فى سورة القيامة.

الفصل الثامن: القسم فى سورة المرسلات.

( ۲۷ )

الفصل التاسع: القسم فى سورة النازعات.

الفصل العاشر: القسم فى سورة التكوير.

الفصل الحادى عشر: القسم فى سورة الانشقاق.

الفصل الثانى عشر: القسم فى سورة البروج.

الفصل الثالث عشر: القسم فى سورة الطارق.

الفصل الرابع عشر: القسم فى سورة الفجر.

الفصل الخامس عشر: القسم فى سورة البلد.

الفصل السادس عشر: القسم فى سورة الشمس.

الفصل السابع عشر: القسم فى سورة الليل.

الفصل الثامن عشر: القسم فى سورة الضحى.

الفصل التاسع عشر: القسم فى سورة التين.

الفصل العشرون: القسم فى سورة العاديات. ( ۲۸ ) ( ۲۹ )

## القسم الاَوّل: القسم المفرد

### الفصل الاَوّل

الفصل الاَوّل القسم بلفظ الجلالة

حلف سبحانه تبارك و تعالى بلفظ الجلالة مرّتين ضمن آيتين من سورة النحل، وهو أعظم قسم ورد فى القرآن الكريم.

قال سبحانه:

أ: (وَيَجْعَلُونَ لما لا يَعْلَمُونَ نَصيباً مِمّا رَزَقْناهُمْ تَاللّهِ لَتُسْئَلُنَّعَمّا كُنْتُمْ تَفْتَرُون) . (۱)

ب: (تَاللّهِ لَقَدْأَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُالشَّيطانُ أَعْمالُهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُالْيَومَ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ) . (۲) تفسير الآيهٔ الاَولى

دلّت الآيـهٔ الاُولى على جهل المشـركين، حيث كانوا يجعلون نصـيباً مما رزقوا للاَصـنام التى لا تضـر ولا تنفع ويتقربون بـذلك إليهم، وقال سبحانه: (وَيَجْعَلُونَ لما لا يَعْلَمونَ نَصيباً مِمّا رَزَقْناهُمْ تَاللّهِ لتسئلنَّ عَمّا كُنْتُمْ تفتَرون_____) .

۱ ـ النحل:۵۶.

۲ ـ النحل:۶۳.

( ۳۰ )

وقـد حكى سـبحانه عملهم هـذا فى سورهٔ الاَنعـام، وقـال: (وَجَعَلُوا للّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالاَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هـذا للّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهـذا لِشُرَكائِنا فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلى اللّهِوَما كانَ للّهِ فَهُو يَصِلُإِلى شُرَكائِهِمْ ساءَما يَحْكُمُون) . (۱)

فالكفار لاَجل جهلهم بمبدأ الفيض كانوا يتقرّبون إلى الآلهـهٔ الكاذبهٔ ـ أعنى: الاَصـنام والاَوثان ـ بتخصـيص شىء مما رزقوا لها، مع أنّه سبحانه هو الاَولى بالتقرّب لا غير ، لاَنّه مبدأ الفيض و ما سواه ممكن محتاج فى وجوده وفعله، فكيف يتقربون إليه؟!

والعجب أنّهم يجعلون نصـيباً للّه ونصـيباً لشـركائه، فما كان للّه فهو يصل إلى شـركائهم، وما كان لشـركائهم لا يصل إلى اللّه سبحانه، وقـد حكـاه سـبحانه فى سورهٔ الاَنعام، وقال: (وَجَعَلُوا للّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالاَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هـذا للّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهـذا لِشُرَكائِنا فَما كانَلِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلى اللّهِوَما كانَ للّه فَهُو يَصِلُإِلى شُرَكائِهِمْ ساءَما يَحْكُمُون) .

(۲)

وحاصل الآيهٔ: أنّهم كانوا يجعلون من الزرع والمواشـى حظاً للّه وحظاً للاَوثان، وقد أسـماها سـبحانه (شـركائهم)، لاَنّهم جعلوا الاَوثان شركاءهم، حيث جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها فى نعمهم .

وقد ذكر المفسرون فى تفسير قوله تعالى(فَما كانَلِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلى اللّهِوَما كانَ للّه فَهُو يَصِلُإِلى شُرَكائِهِم) وجوهاً:

(۳)

أوّلها: انّهم كانوا يزرعون للّه زرعاً وللاَصنام زرعاً، فكان إذا زكا الزرع الذى

---

۱ ـ الاَنعام:۱۳۶.

۲ ـ الاَنعام:۱۳۶.

۳ ـ لاحظ مجمع البيان: ۲| ۳۷۰.

( ۳۱ ) زرعوه للّه ولم يزك الزرع الـذى زرعوه للاَصـنام جعلوا بعضه للاَصـنام وصـرفوه إليها، ويقولون إنّ اللّه غنىّ والاَصـنام أحوج؛ وإن زكا الزرع الـذى جعلوه للاَصـنام ولم يزك الزرع الـذى زرعوه للّه لم يجعلوا منه شـيئاً للّه، وقالوا: هو غنى؛ وكانوا يقسـمون النعم فيجعلون بعضه للّه وبعضه للاَصـنام فمـا كـان للّه أطعموه الضـيفان، وما كان للصـنم أنفقوه على الصـنم، وهـذا هو المروىّ عن الزجاج وغيره.

ثانيها: انّه كان إذا اختلط ما جُعل للاَصنام بما جُعل للّه تعالى ردّوه، وإذا اختلط ما جعل للّه بما جُعل للاَصنام تركوه، وقالوا :اللّه أغنى، وإذا تخرق الماء من الـذى للّه فى الـذى للاَصـنام لم يسدُّوه، وإذا تخرق من الذى للاَصـنام فى الذى للّه سدّوه ، وقالوا: اللّه أغنى. عن ابن عباس وقتادهٔ، وهو المروى عن أئمتنا «عليهم السلام» .

وثالثهـا: انّه كـان إذا هلـك مـا جعـل للاَصـنام بـدَّلوه مما جعل للّه، وإذا هلك ما جعل للّه لم يبـدّلوه مما جعل للاَصـنام. عن الحسـن والسدى.

(۱)

وفى الحقيقة انّهذا النوع من العمل، أى توزيع القربان بين اللّه والآلهة، كان تزييناً من شركائهم وهم الشياطين أو سدنة الأصنام حيث زينوا لهم هذا العمل وغيره من الأعمال القبيحة ، قال تعالى: (وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِكَثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكينَ قَتْلَ أَولادِهِمْ شُرَكاؤُهم لِيُرْدُوهُمْ (أى ليهلكوهم بالإغواء)وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَو شاءَ اللّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ).

(۲) تفسير الآية الثانية يقول سبحانه: (تَاللّهِ لَقَدْأَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيّنَ لَهُمُ الشَّيطان

---

۱ ـ مجمع البيان: ۲| ۳۷۰.

۲ ـ الأنعام:۱۳۷.

( ۳۲ ) أَعمالَهُمْ) فهؤلاء كفروا وضلّوا وكذّبوا الرسل وقد زيّن الشيطان أعمالهم (فهو وليّهم اليوم) أى الشيطان الذى زين لهم أعمالهم فهو أيضاً يقوم بنفس هذا العمل فالولى واحد وإن كان المتولى عليه مختلفاً، وبالتالى انّ الشيطان وليهم اليوم فى الدنيا يتولونه ويتبعون إغواءه ( ولهم عذاب أليم).

إلى هنا انتهينا من تفسير الآيتين، فلنذكر المقسم به، وجواب القسم، وما هى الصلة بينهما. المقسم به المقسم به فى الآيتين هو لفظ الجلالة الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم حوالى ۹۸۰ مرة.

وقد ذهب غير واحد من أصحاب المعاجم إلى أنّ أصله، إله، فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فخص بالبارى تعالى ، قال تعالى: (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبادتِهِ هَلْتَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) .

(۱)

ثمّإنّ «إله» إما من أله يأله فهو الإله بمعنى المعبود، أو من أله ـ بالكسر ـ أى تحير، لتحير العقول فى كنهه.

أقول: سيوافيك بأنّالإله ليس بمعنى المعبود، وأنّمن فسره به فقد فسره بلازم المعنى، وعلى فرض ثبوته فلفظ الجلالة علم بالغلبة وليس فيه إشارة إلى هذه المعانى من العبادة والتحيّر، وقد كان مستعملاً دائراً على الألسن قبل نزول القرآن تعرفه العرب فى العصر الجاهلى، يقول سبحانه: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

---

۱ ـ مريم:۶۵.

( ۳۳ ) لَيَقُولُنَّ اللّه) . (۱) فقد أشار بلفظ الجلالة إلى خالق السماوات والأرض دون تبادر مفهوم العبادة أو التحير منه.

وممّا يدل على كونه علماً انّه يوصف بالأسماء الحسنى وسائر أفعاله المأخوذة من تلك الأسماء من دون عكس، فيقال اللّه الرحمن الرحيم، أو يقال علم اللّه ورزق اللّه، ولا يقع لفظ الجلالة صفة لشىء منها، ولا يؤخذ منه ما يوصف به شىء منها، وهذا يدل على أنّه علم وليس بوصف، فيكون اسماً للذات الواجبة الوجود المستجمعة لجميع صفات الكمال، ولهذا اللفظ فى جميع الألسنة معادل كلفظة "خدا "فى لغة الفرس و"حراً "فى لغة الافرنج و" تارى "فى لغة الترك.

(۲) جواب القسم أمّا جواب القسم فى الآية الأولى، فهو عبارة عن قوله: (لتسئلن عمّا كنتم تفترون) .

كما أنّجوابه فى الآية الثانية، هو قوله: (لَقَدْأرْسلنا إِلى أُمم من قَبْلك) .

فقد أقسم سبحانه فى هاتين الآيتين بلفظ الجلالة لغاية التأكيد على أمرين:

أ: انّهم مسؤولون يوم القيامة عن افترائهم الكذب.

ب: انّه سبحانه لم يترك الخلق سدى بل أرسل إليهم رسلاً، لكن الشيطان حال بينهم و بين أُممهم، وتشهد على ذلك سيرة عاد و ثمود بل اليهود والنصارى والمجوس_____.

۱ ـ الزخرف:۸۷.

۲ ـ انظر الميزان: ۱۸|۱. ( ۳۴ ) ما هى الصلة بين المقسم به والمقسم عليه؟

هذا هو المهم فى أقسام القرآن، وقد أُهمل فى كثير من التفاسير، ويمكن أن يقال:

أمّا الآية الأُولى، فالقسم بلفظ الجلالة لأجل أنّ المشركين كانوا يجعلون للّه نصيباً مما زرعوا من الحرث والأنعام، وكانوا يقولون: هذا للّه، فناسب أن يقسم به لأجل أنّه افتراء عظيم.

وأمّا الآية الثانية، فلأنّه جاء فى ذيل جواب القسم ولاية الشيطان، كما قال: (فهو وليّهم اليوم) وبما انّ الولاية للّه سبحانه كما قال تعالى: (هنالِكَ الولايةُ للّهِ الحق) (۱) يس ناسب الحلف باللّه الذى هو الوليّ دونَ الشيطان، كما عليه المشركون.

---

۱ ـ الكهف: ۴۴.



## الفصل الثانى

الفصل الثانى القسم بالربِّ

أقسم سبحانه بلفظ «رب» بصور مختلفة:

تارة حلف به بلفظ «فلا وربك»

وأُخرى حلف به مقروناً بلفظ (لا ) وقال: «فلا أُقسم».

وثالثة حلف به بلفظ «فوربّك».

ورابعة بلفظ «بلى و ربّى».

وخامسة بلفظ «اى وربى».

وسادسة بلفظ «فوربّالسماء والأرض».

وعلى أية حال فالمقسم به هو الرب،وإليك الآيات:

۱. (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليماً). (۱)

۲.(فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ إِنّا لَقادِرُونَ *عَلى أَنْبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَما نَحنُ بِمَسْبُوقينَ) . (۲)

۳. (فَوَرَبّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطين) . (۳)

---

۱ ـ النساء:۶۵.

۲ ـ المعارج:۴۰ ـ ۴۱.

۳ ـ مريم:۶۸.



۴. (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعينَ* عَمّا كانُوا يَعْمَلُون) . (۱)

۵. (وَقالَالَّذينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السّاعَةُ قُلْبَلى وَربّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيب) . (۲)

۶. (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْلَنْ يُبْعَثُوا قُلْبلى وَربّى لَتُبعثُنّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤنَّ بما عَمِلْتُمْوَذلِكَ عَلى اللّهِ يَسير ) . (۳)

۷.(وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إى وَرَبّى انّهُ لحقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجزين) . (۴)

۸. (فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْتَنْطِقُون) . (۵) تفسير الآيات تشير الآية الأُولى إلى مقام من مقامات النبى (صلى الله

عليه وآله وسلم)، فانّله ـ حسب ما دلّعليه الكتاب و السنة فى إدارة رحى المجتمع ـ مقامات ثلاثة:

أ: السياسية وتدبير الاُمور: يقول سبحانه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِى الاَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوا عَنِ الْمُنْكَرِوَللّهِ عاقِبَةُ الاُمور ). (۶) ويقول فى حقّ النبى خاصة: (النَّبِىُّ أَولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (۷) وليس الاَولى بالموَمنين من أنفسهم فضلاً عن أموالهم غير السائس الحاكم العام_____.

۱ ـ الحجر:۹۲ـ ۹۳.

۲ ـ سبأ:۳.

۳ ـ التغابن:۷.

۴ ـ يونس:۵۳.

۵ ـ الذاريات:۲۳.

۶ ـ الحج:۴۱.

۷ ـ الاَحزاب:۶.



ب: القضاء وفضُّ الخصومات: يقول سبحانه فى حقّداود: (يا داوُدُ إِنّا جَعلْناكَ خَلِيفَةً فِى الاَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِاللّهِ إِنّ الّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِاللّهِلَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَومَ الْحِساب) (۱) وفى حقّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللّهَيُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) . (۲)

ج: الإفتاء وبيان الاَحكام: يقول سبحانه: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَةِ) (۳)

س وقد كان الرسول ـ بنص هذه الآيات ـ جامعاً لهذه المقامات الثلاثة فكان سائساً وحاكماً، وقاضياً وفاضّاً للخصومات، ومفتياً ومبيّناً للاَحكام.

ومن الواضح بمكان أنّ فضّ الخصومات لا يتحقق إلّا بقضاء قاض مطاع رأيه ونافذ فصله، وقد كان بعض المنتمين إلى الإسلام لم يعيروا أهمية لقضائه، فنزلت الآية تأمر أوّلاً بإطاعته وانّ كلّرسول واجب الطاعة.يقول سبحانه: (وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّه) . (۴)

ثمّ تشير الآية التالية إلى أنّ الإيمان لا يكتمل إلّا بالانصياع والتسليم القلبى لما يقضى به النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمن شهد الشهادتين وأذعن بهما، ومع ذلك يجد فى نفسه حرجاً فى قضاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمره فليس بموَمن، يقول سبحانه: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُوْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً). (۵) فالآية تدل على أنّ الإيمان لا يكتمل بنفس الإذعان واليقين بالتوحيد والرسالة مالم ينضم إليه

---

۱ ـ ص :۲۶.

۲ ـ المائدة:۴۲.

۳ ـ النساء:۱۷۶.

۴ ـ النساء:۶۴.

۵ ـ النساء:۶۵.



التسليم القلبى، ولذلك ترى أنّأمير الموَمنين علياً (عليه السلام) يصف الإسلام بالنحو التالى، ويقول: «لَانسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها

أحد قبلى: الإسلام هو التسليم». (۱)) وتشير الآية الثانية إلى أنّه سبحانه قادر على أن يهلك المشركين ويأتى بقوم آخرين (خيراً منهم)، من دون أن يكون مغلوباً، قال: (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ إِنّا لَقادِرُونَ* عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَما نَحنُ بِمَسْبُوقِينَ) .

فجواب القسم قوله (إِنّا لَقادِرُون) وقوله (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِين) عطف على جواب القسم، والمراد بالسبق الغلبة، أى وما نحن بمغلوبين ويمكن أن يكون السبق بمعناه والمراد: وما نحن بمسبوقين بفوت عقابنا إياهم فإنّهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا.

والتعبير بالمشارق والمغارب لَاجل أنّ للشمس فى كل يوم من أيام السنة الشمسية مشرقاً ومغرباً لا تعود إليهما إلى مثل اليوم من السنة القابلة، كما أنّه من المحتمل أن يكون المراد بها مشارق جميع النجوم ومغاربها.

ومن عجيب الَامر أنّ فى الآية على قصرها وجوهاً من الالتفات.

ففى قوله: (فلا أُقْسِم) التفات من التكلم مع الغير الوارد فى قوله: (إِنّا خَلَقْناكُمْ) إلى التكلم وحده، والوجه فيه تأكيد القسم باسناده إلى اللّه نفسه.

وفى قوله: ( بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِب) التفات من التكلم وحده إلى الغيبة، و الوجه فيه الإشارة إلى صفة من صفاته تعالى هى المبدأ فى خلق الناس جيلًا بعد جيل، وهى ربوبيته للمشارق و المغارب، فانّ الشروق بعد الشروق، والغروب بعد الغروب، يلازم مرور الزمان الذى له مدخلية تامّة فى تكوّن الإنسان

---

۱ ـ نهج البلاغة: قسم الحكم، الحكمة۱۲۵.



جيلًا بعد جيل وسائر الحوادث العرضية المقارنة له.

وفى قوله: (إِنّا لَقادِرُون) التفات (۱) من الغيبة إلى التكلم مع الغير، والوجه فيه الإشارة إلى العظمة المناسبة لذكر القدرة، وفى ذكر ربوبيته للمشارق والمغارب إشارة إلى تعليل القدرة ،وهو أنّ الذى ينتهى إليه تدبير الحوادث فى تكوّنها لا يعجزه شىء من الحوادث التى هى أفعاله، عن شىء منها، ولا يمنعه شىء من خلقه من أن يبدله بخير منه، وإلّا شاركه المانع فى أمر التدبير، واللّه سبحانه لا شريك له فى أمر التدبير. (۲)

وأمّا الآية الثالثة: فلما ذكر سبحانه الوعد والوعيد والبعث والنشور أردفه بقول منكر البعث ورد عليهم بأوضح بيان وأجلى برهان، وقال: (أَوَ لا يَذْكُرُ الإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) (۳) والمراد أو لا يذكر أنّالنشأة الَاولى دليل على إمكان النشأة الثانية، ثمّ أكده بقوله: «فوربك» يا محمد «لنحشرنّهم والشياطين» أى لنجمعنهم ولنبعثنهم من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين.

وأمّا الآية الرابعة: فسياق الآية يندد بالمقتسمين، ويقول: (كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمين) (۴) ثمّ يصفهم بقوله :(الّذِينَ جَعَلُوا الْقُرآنَ عِضِين) (۵)والعضين

---

۱ ـ الالتفات فى علم البيان عبارة عن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطابإلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم كما فى قوله سبحانه: (مالِكِ يَوم الدِّين*إِيّاكَ نَعْبُد) وقوله سبحانه: (حَتّى إِذا كُنْتُمْ فى الفلك و جرين بهم) وقوله سبحانه: (وَاللّهُ الذى أَرسل الرياح فتثير سَحاباً فَسُقْناهُ) ففى الآية الَاولى عدول من الغيبة إلى الخطاب، وفى الثانية من الخطاب إلى الغيبة، وفى الثالثة من الغيبة إلى التكلم.

۲ ـ الميزان: ۲۰|۲۲.

۳ ـ مريم:۶۷.

۴ ـ الحجر:۹۱.

۵ ـ الحجر:۹۰.

( ۴۰ )

جمع عضّة والتعضية التفريق، فهم الذين جزّأوا القرآن أجزاء فقالوا تارة: سحر، وأُخرى: أساطير الاَوّلين، وثالثة: مفترى، وبذلك صدّوا الناس عن الدخول فى دين اللّه، وعلى ذلك يكون المراد من المقتسمين هم كفار قريش.

ويحتمل أن يكون المراد هم اليهود والنصارى الذين فرّقوا القرآن أجزاء وأبعاضاً، وقالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

وعلى أيّة حال الذين كانوا بصدد إطفاء نور القرآن بتبعيضه أبعاض ليصدوا عن سبيل اللّه فهؤلاء هم المقصودون، ثمّ حلف سبحانه وقال: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعينَ* عَمّا كانُوا يَعْمَلُون) من تبعيض القرآن و صد الناس عن الإيمان به.

وأمّا الآية الخامسة: فتذكر إنكار المشركين لإتيان الساعة ويوم القيامة، وهم ينكرونه مع ظهور عموم ملكه سبحانه وعلمه بكلّ شيء.

وقد كان سبب إنكارهم هو زعمهم أنّ الإنسان يبلى جسده بعد الموت وتختلط أجزاؤه بأجزاء أبدان أُخرى على نحو لا تتميز، فكيف يمكن إعادته؟ فأجاب سبحانه فى الآية مشيراً إلى علمه الواسع، ويقول: (وَقالَالَّذينَ كَفَرُوا لا تَأْتينَا الساعَةُ قُلْ بَلى وَرَبّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الغَيْبِ لا يَعزبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فى السَّماواتِ وَلا فِى الاَرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ إلّا فى كِتابٍمُبين) . (۱)

فقوله: (لا تَأْتينَا السّاعَة) حكاية لقول المشركين.

وقوله: (قل بلى وربّى) أمر للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يجيبهم بأنّ إتيان الساعة أمر قطعى_____.

۱ ـ سبأ:۳.

( ۴۱ )

وأمّا ما تشكّكون به من اختلاط أجزاء الاَموات بعضها ببعض فهو أمر سهل أمام سعة علمه سبحانه بالغيب، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الاَرض، فهو يعلم بذرات بدن كلّإنسان ويميّزه عن غيره، ومع علمه سبحانه فالاَجزاء ثابتة فى كتاب مبين لا تتغير ولا تتبدل.

وأمّا الآية السادسة: يقول سبحانه: (زَعَمَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنْلَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبّى لَتُبعَثُنّ ثُمْ لَتُنَبَّؤُنّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلى اللّهِ يَسير ). (۱)

تشير الآية إلى إنكار الوثنيين الذين كانوا ينكرون البعث، فأمر النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بالإجابة على إنكارهم بإثبات ما نفوه من الكلام مقروناً بأصناف التأكيد بالقسم واللام والنون وقال: (وَرَبّى لَتُبعَثُنّ ثُمْ لَتُنَبَّؤُنّ) .

وأشار فى ذيل الآية إلى أنّ البعث أمر يسير عليه تعالى ، وانّما طرحوه من شبهات حول البعث فهى ـ فى الواقع ـ شبهات لا تصمد أمام قدرة اللّه وعلمه الواسع.

وأمّا الآية السابعة: أعنى قوله سبحانه: (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إى وَرَبّى إنّهُ لحقّ وما أَنْتُمْ بِمُعْجِزين) . (۲)

سياق الآية يوحى إلى أنّالمشركين كانوا يستخبرون النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» عن نزول العذاب أو وقوع البعث، فأمره سبحانه بأن يجيب موَكداً، فقال: (قل إى وربّى انّه لحقّ) وقد أكد الكلام بالقسم والجملة الاسمية، و«انّ» المشبهة و «اللام،» ثم أشار إلى أنّالكافرين لا يعجزونه سبحانه عمّا أراد، وقال: (وَما أَنْتُمْ بِمُعجِزين) ، وفى سورة المعارج قال مكانه: (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقين) .

---

۱ ـ التغابن:۷.

۲ ـ يونس:۵۳.

( ۴۲ )

وأمّا الآية الثامنة : (فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالاَرْضِ انّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنّكُمْ تَنْطِقُون) . (۱)

فالضمير فى قوله : «إنّه» يعود إلى الرزق والوعد الواردين فى الآية المتقدّمة ، قال سبحانه: (وَفِى السَّماءِ رِزْقكُمْ وَما تُوعَدُون) والمراد من الوعد هو الجنة.

ثمّأشار (انّه لحقّمثل ما أنّكم تنطِقُون) وكما أنّ العلم بهذا الاَمر ـ أى النطق ـ أمر ملموس لا شبهة فيه، فهكذا الرزق والوعد من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس.

حكى الزمخشرى عن الاَصمعى قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود له، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بنى أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، فقال: اتل عليّفتلوت «والذاريات» فلمّا بلغت قوله: (وَفِى السَّماءِرزْقكُمْ) قال: «حسبك» ، فقام إلى ناقته، فنحرها ووزّعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولّى، فلما حججت مع الرشيد ، طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق، فالتفتّ فإذا أنا بالاَعرابى قد نحل واصفرّفسلّم علىَّ و استقرأ السورة، فلمّا بلغت الآية، صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقّاً، ثمّ قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: (فوربّ السّماء والاَرض انّه لحقّ) فصاح، وقال: يا سبحان اللّه من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجوَه إلى اليمين، قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه. (۲)

إلى هنا تمّ تفسير الآيات التى أقسم فيها سبحانه بربوبيّته، وإليك الكلام فى المقسم به، والمقسم عليه_____.

۱ ـ الذاريات:۲۳.

۲ ـ الكشاف:۳|۱۶۹.

( ۴۳ ) المقسم به إنّ المقسم به فى هذه الآيات الثمان هو الرب، والربّ أصله من ربب، يقول صاحب القاموس: ربّ كلّشىء مالكه ومستحقه وصاحبه،يقال: ربّالاَمر أصلحه.

يقول ابن فارس: الرب، المالك، الخالق، الصاحب، و الرب المصلح للشىء، يقال: ربّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها.

والربّ المصلح للشىء، واللّه جلّثناوَه، الرب لاَنّه مصلح أحوال خلقه، والراب الذى يقوم على أمر الربيب.

هذه الكلمات ونظائرها مبثوثة فى كتب القواميس واللغة، وهى ظاهرة فى أنّ للرب معانى مختلفة، حتى أنّالكاتب المودودى تصوّر أنّ لهذه اللفظة خمسة معان، وذكر لكلّ معنى من المعانى الخمسة شواهد من القرآن، ولكن الحقّ أنّه ليس لتلك اللفظة إلاّ معنى واحد والجميع مصاديق متعددة لهذا المعنى أو صور مبسطة للمعنى الواحد، وإليك هذه الموارد والمصاديق:

۱. التربية: مثل رب الولد، رباه.

۲. الإصلاح والرعاية: مثل رب الضيعة.

۳. الحكومة والسياسة: مثل فلان قد ربّ قومه، أى ساسهم وجعلهم ينقادون له.

۴. المالك: كما جاء فى الخبر، عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أرب غنم أم رب إبل.

۵. الصاحب: مثل قوله: رب الدار، أو كما يقول القرآن الكريم: (فَلْيَعْبُدُوا رَبّهَذا الْبَيْت) . (۱)

---

۱ ـ قريش:۳.

( ۴۴ )

لا ريب انّهذه اللفظة قد استعملت فى هذه الموارد، ولكن جميعها ترجع إلى أصل واحد وهو من فوض إليه أمر الشىء المربوب، فلو قيل لصاحب الدار ومالكها ربّ الدار، فلاَنّ أمرها مفوض إليه، ولو أطلق على المصلح و السائس، فلاَنّ بيد هوَلاء أمر التدبير والإدارة والتصرف، فلو قال يوسف فى حقّ عزيز مصر: (إِنَّهُ رَبِّى أَحسَنَ مَثْوَاى) (۱)، فلاَجل انّ يوسف نشأ فى إحضانه وقام بشوَونه.

ولو وصف القرآن اليهود والنصارى بأنّهم اتخذوا أحبارهم أرباباً، وقال: (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْأَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ) (۲)، فلاَجل انّهم تسلّموا زمام سلطة التشريع وتصرّفوا فى الاَموال والاَعراض كيفما شاءُوا.

إنّه سبحان وصف نفسه، بقوله: (ربُّ السَّماواتِ والاَرْض) (۳) وقال أيضاً: (رَبّالشعرى) (۴)كلّ ذلك لانّه تعالى مدبرها ومديرها ومصلح شوَونها والقائم عليها.

وهذا البيان يكشف النقاب عن المعنى الحقيقى للرب، وهو المعنى الجامع بين هذه الموارد. أعنى: من فوِّض إليه أمر الشىء من حيث الخلق و التدبير والتربية، وبذلك يعلم ما فى كلام ابن فارس من تفسيره بالخالق، فانّه خلط بين المعنى ولازمه فالخالق ليس من معانى الرب.

نعم خالق كلّ شىء يعدّ مربياً ومدبراً.

وثمة نكتة جديرة بالاهتمام، وهى: أنّ الوهابيين قسَّموا التوحيد إلى

---

۱ ـ يوسف:۲۳.

۲ ـ التوبة:۳۱.

۳ ـ الرعد:۱۶.

۴ ـ النجم:۴۹.



التوحيد فى الربوبية والتوحيد فى الالوهية، وفسَّروا الاَوّل بالتوحيد فى الخالقية ، بمعنى الاعتقاد بأنّ للكون خالقاً واحداً ؛ و فسروا الثانى بالتوحيد فى العبادة ، بمعنى أنّه ليس فى الكون إلّا معبود واحد؛ ولكنّهم اخطأوا فى كلا الاصطلاحين.

أمّا الاَوّل: فلاَنّ التوحيد فى الربوبية غير التوحيد فى الخالقية، فانّ الخالقية شىء والتدبير والاِصلاح شىء آخر، واللّه سبحانه وإن كان خالقاً ومدبراً لكنّه لا يكون دليلاً على وحدة المفهومين فى الخارج.

فالعرب فى عصر الجاهلية كانوا موحدين فى الخالقية، وكان منطق الجميع، ما حكاه سبحانه بقوله:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلقَ السَّماواتِ وَالاَرضَ ليقُولُنَّ خَلَقَهُنَّالْعَزِيزُ العَلِيم) . (۱)

وفى الوقت نفسه لم يكونوا موحدين فى الربوبية، يقول سبحانه: (وَاتَّخذوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً) (۲) فكانوا يعتقدون بأنّ العزّة والتدبير من شوَون المدبر، قال سبحانه: (واتَّخذوا مِنْ دُونِ اللّه آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُون) (۳). فكانوا يرون أنّ النصر بيد الاِلهة، خلافاً للموحد فى أمر التدبير، فهو يرى أنّ العزّة والنصر بيد اللّه سبحانه: قال تعالى: (فَلِلّهِ العِزَّةُ جَميعاً) (۴) وقال تعالى: (وَمَا النَّصْرُ إِلّا مِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزِيز الْحَكيم) (۵) إلى غير ذلك من الآيات الحاكية عن توغّلهم فى الشرك فى أمر التدبير_____.

۱ ـ الزخرف:۹.

۲ ـ مريم:۸۱.

۳ ـ يس:۷۴.

۴ ـ فاطر:۱۰.

۵ ـ آل عمران:۱۲۶.



وأمّا الثانى: فلاَنّ التوحيد فى الالوهية غير العبادة، فهو مبنى على أنّ الاِله بمعنى المعبود، والعبادة من لوازم الاِله.

ولكنّه بعيد عن الصواب، لاَنّ ما يتبادر من لفظ الجلالة هو المتبادر من لفظ الاِله، غير أنّ الاَوّل جزئى موضوع لفرد واحد، والثانى كلى وإن لم يوجد له مصداق آخر.

والذى يدل على أنّ الاِله ليس بمعنى المعبود هو أنّه ربما يستعمل لفظ الجلالة مكان الاِله على وجه الكلية والوصفيّة دون العلمية، فيصحّ وضع أحدهما مكان الآخر، كما فى قوله سبحانه: (وَهُوَ اللّهُ فِى السَّماواتِوَفِى الاَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ ما تَكْسِبُون) . (۱)

فإنّ وزان هذه الآية وزان، قوله سبحانه:

(وَهُوَ الَّذِى فِى السَّماءِإِلهٌ وفِى الاَرْضِ إِلهٌ وَهُوَ الْحَكيمُ الْعَليم) . (۲)

(ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيراً لَكُمْ إِنَّما اللّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكونَ لَهُ وَلَد) . (۳)

(هُوَ اللّهُ الَّذِى لااِلهَ إِلاّ هُوَ الْمَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللّهُ الْخالِقُ البارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الاَسماءُالْحُسْنى يُسَبِّحُلَهُ ما فِى السَّماواتِ وَالاَرضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيم) . (۴)

ولا يخفى أنّ لفظ الجلالة فى هذه الموارد وما يشابهها يراد منه ما يرادف

---

۱ ـ الاَنعام:۳.

۲ ـ الزخرف:۸۴.

۳ ـ النساء:۱۷۱.

۴ ـ الحشر:۲۳ـ ۲۴.



الاِله على وجه الكلية (أى ما معناه أنّه هو الاِله الذى يتصف بكذا وكذا).

ويقرب من الآية الاُولى، قوله سبحانه:

(قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيّاً ما تَدْعُوا فَلَهُ الاَسْماءُالْحُسْنى) . (۱)

فإنّ جعل لفظ الجلالة فى عداد سائر الاَسماء، والاَمر بدعوة أىٍّ منها، ربما يشعر بخلوّه عن معنى العلمية، وتضمنه معنى الوصفية الموجودة فى لفظ :«الاِله» وغيره، ومثله قوله سبحانه:

(هُوَ اللّهُ الْخالِقُ البارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الاَسْماءُ الْحُسْنى) . (۲)

فلا يبعد فى هاتين الآيتين أن يكون لفظ الجلالة ملحوظاً على وجه الكلية لا العلمية الجزئية، كما هو الظاهر لمن أمعن فيها.

المقسم عليه

إنّ المقسم عليه عبارة عن جواب القسم، وهو فى تلك الآيات كالتالى:

أ: الدعوة إلى تحكيم النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) والتسليم أمام قضائه.(لا يُؤْمِنُونَحَتّى يُحكّموك...) .

ب: التأكيد على قدرته سبحانه على أن يأتى بخير منهم:(انّا لَقادِرُون عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً...) .

ج: التأكيد على حشرهم وحشر الشياطين: (لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطين) .

د: التأكيد على أنّهم مسوَولون يوم القيامة عن أعمالهم(لنسئَلنّهم

---

۱ ـ الاِسراء:۱۱۰.

۲ ـ الحشر: ۲۴.



أَجْمَعين...) .

هـ: التأكيد على إتيان الساعة: (لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالم الغَيب...) .

و: التأكيد على بعثهم وآبائهم: (لتبعثن ثمّ لتنبوَنّ...) .

ز: التأكيد على وقوع البعث: (انّه لحقّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزين...) .

ح: التأكيد على أنّ أمر الرزق وما توعدون من الجزاء حقّ: (انّه لحقّمثلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُون...) . الصلة بين المقسم به والمقسم عليه الصلة بينهما واضحة ،فانّ المقسم عليه فى هذه الآيات، كان يدور حول أحد أمرين:

أ: الدعوة إلى التحكيم إلى النبى والتسليم أمام قضائه.

ب: كون البعث والحشر والسوَال عن الاَعمال، أمراً حقّاً.

ومن الواضح أنّ كلا الاَمرين من شوَون الربوبية، فإنّ الربّ إذا كان سائساً ومدبراً فهو أعلم بصلاح المدبر فيجب أن يكون مسلماً لاَمر النبىّ «صلى الله عليه وآله وسلم» ونهيه.

كما أنّحياة المربوب من شوَون الرب دون فرق بين آجله وعاجله، فناسب الحلف بالرب عند الدعوة إلى الحشر و النشر .

وبعبارة أُخرى: كان المشركون ينكرون التسليم أمام أمره ونهيه، كما كانوا ينكرون البعث والنشر، ولما كان الجميع من شوَون الربوبية حلف بالرب تأكيداً لربوبيته.

* * *

( ۴۹ )

ثمّإنّ المقسم به فيما مضى من الآيات هو لفظ الجلالة أو لفظ الرب، المشيرين إلى الواجب الجامع لجميع صفات الكمال والجمال.

وثمة آيات ربما يستظهر منها أنّالمقسم به هو سبحانه تبارك وتعالى لكن بلفظ مبهم كـ«ما» الموصولة، وقد جاء فى آيات أربع:

۱. (وَالسَّماءِ وَما بَناها) .

۲. (وَالاَرْضِ وما طَحيها) .

۳. (وَنَفْسٍ وَما سَوّاها). (۱)

۴. (وما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالاُنثى). (۲)

وقد اختلفت كلمة المفسرين فى تفسير لفظة «ما»، فالاَكثرون على أنّها «ما» موصولة كناية عن اللّه سبحانه،وكأنّه سبحانه يقول: والسماء والذى بناها، والاَرض والذى طحاها،ونفس والذى سواها، والواو للقسم.

وهناك من يذهب إلى أنّها «ما» مصدرية، وكأنّه يقول: أُقسم بالسماء وبنائها، والاَرض وطحائها،والنفس وتسويتها.

ولكن الرأى الاَوّل هو الاَقرب لاَنّ سياق الآية يؤيد ذلك، لاَنّه سبحانه يقول: (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) (۳) فالفاعل هو الضمير المستتر الراجع إلى «ما» الموصولة الواردة فى الآيات الثلاث المتقدمة.والذى يصلح للفاعلية هو الموصول من «ما» لا المصدر، وسيوافيك تفصيل ذلك عند البحث عن الحلف بما ورد فى هذه الآيات_____.

۱ ـ الشمس:۵ـ۷.

۲ ـ الليل:۳.

۳ ـ الشمس:۸.

## الفصل الثالث

الفصل الثالث القسم بالنبىّ (صلى الله عليه وآله وسلم)

حلف القرآن الكريم بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مرَّتين، فتارة بعمره وحياته، وأُخرى بوصفه وكونه شاهداً، ويقع البحث فى مقامين:

المقام الاَوّل: الحلف بعمر النبى(صلى الله عليه وآله وسلم)

حلف سبحانه بحياة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّة واحدة، وقال حينما عرض قصة لوط: (قالَ هوَلاءِ بَناتِى إِنْ كُنْتُمْ

فاعِلين*لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون* فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِين) . (۱) تفسير الآيات أخبر سبحانه فى هذه السورة أنّ الملائكة لمّا خرجوا من عند إبراهيم أتوا لوطاً يبشرونه بهلاك قومه، ولمّا حلّوا ضيوفاً عند لوط فرح الفجّار بورودهم، فقال لهم لوط مشيراً إلى بناته( انّ هوَلاء بناتى) «فتزوجوهنّ إن كنتم فاعلين وكانت لكم رغبة فى التزويج، ولكن قوم لوط أعرضوا عمّا اقترح عليهم نبيّهم لوط وكانوا مصرّين على الفجور بهم، غافلين عن أنّ العذاب سيصيبهم واللّه سبحانه يحلف بحياة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويقول:(لعمركَ انَّهُمْ لَفى

---

۱ ـ الحجر:۷۱ـ ۷۳.

( ۵۱ )

سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون) فلا يبصرون طريق الرشد(فَأَخذتهُم الصَّيحة) أى الصوت الهائل (مشرقين) أى فى حال شروق الشمس. المقسم به المقسم به هو عبارة عن العمر، أعنى فى قوله: «لعمرك» يقول الراغب: العَمر والعُمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، فإذا قيل طال عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه، إلى أن قال: والعَمر والعُمر واحد لكن خصَّ القسم بالعَمر دون العُمر، كقوله سبحانه: (لَعَمْرُكَ انَّهُمْ لَفى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون) .

وأما العُمُر فكما فى قوله سبحانه :(فطالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُر ) ، وفى آية أُخرى:(لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنين) .

فاللفظان بمعنى واحد لكن يختص القسم بواحد منهما. (۱) المقسم عليه هو قوله :( انَّهُمْ لَفى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون) ، والمراد أقسم بحياتك وبقائك يا محمد، انّهم لفى سكرتهم وانغمارهم فى الفحشاء والمنكر متحيرين لا يبصرون طريق الرشد.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه.

قال ابن عباس: ما خلق اللّه عزّوجلّ وماذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد، وما سمعت اللّه أقسم بحياة أحد إلّا بحياته فقال لعمرك. (۲)

---

۱ ـ المفردات: ۳۴۷، مادة عمَر.

۲ ـ مجمع البيان: ۳|۳۴۲.

( ۵۲ )

وجه الصلة أنّه سبحانه بعث الأنبياء عامة، والنبى الخاتم خاصة لهداية الناس وإنقاذهم من الضلالة وإيقاظهم من السكرة التى تعمُّ الناس، وبما أنّ القوم كانوا فى سكرتهم يعمهون وفى ضلالتهم مستمرون، حلف سبحانه تبارك وتعالى بعمر النبى الذى هو مصباح الهداية والدليل إلى الصراط المستقيم. المقام الثانى: الحلف بوصف النبى وأنّه شاهد حلف القرآن الكريم فى سورة البروج بالشاهد والمشهود، وقال: (وَالسَّماءِ ذاتِالْبُروج* وَالْيَومِ المَوعُودِ* وشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ* قُتِلَ أَصحابُ الأُخدُود) . (۱)

أمّا المشهود فسيوافيك فى فصل القسم فى سورة القيامة انّ المراد منه يوم القيامة بشهادة، قوله سبحانه: (ذلِكَ يَومٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاس وَذلِكَ يَومٌ مَشْهُود) (۲)

إنّما الكلام فى الشاهد، فالمراد منه هو النبى الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) بشهادة أنّه سبحانه وصفه بهذا الوصف ثلاث مرّات، وقال:

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) . (۳)

(انّاأَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ) . (۴)

(إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) . (۵)

والآيات صريحة فى حقّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفى بعض

---

۱ ـ البروج:۱ـ۴.

۲ ـ هود:۱۰۳.

۳ ـ الاَحزاب:۴۵.

۴ ـ المزمل:۱۵.

۵ ـ الفتح:۸.

( ۵۳ )

الآيات عرّفه بأنّه (شهيداً)، ويقول:(وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النّاسِ وَيَكونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) . (۱)

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤلاء) . (۲)

هذه الآيات تعرب عن أنّ المقسم به هو النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) بما انّه شاهد على أعمال أُمّته وشهيداً عليها.

سئل الحسن بن على (عليهما السلام) عن معنى الشاهد والمشهود فى قوله سبحانه: (وشاهِدٍ وَمَشْهُود)؟ فقال: أمّا الشاهد فمحمد «صلى الله عليه وآله وسلم»، وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: (إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً) ، وقال تعالى: (ذلِكَ يَومٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاس وَذلِكَ يَومٌ مَشْهُود) . (۳) معنى الشهادة وكيفية شهادة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أمّا الشهادة فقد فسرها الراغب وقال: الشهود والشهادة، الحضور مع المشاهدة امّا بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفرداً عالم«الغيب والشهادة» وقد نقل القرآن شهادة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على قومه يوم القيامة، فقال: (يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هذَا الْقُرآنَ مَهْجُوراً) . (۴)

هذه حقيقة قرآنية فى حقّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره ولا

---

۱ ـ البقرة:۱۴۳.

۲ ـ النحل:۸۹.

۳ ـ البحار:۱|۱۳.

۴ ـ الفرقان:۳۰.

( ۵۴ )

يمكن إنكارها للتصريح بها فى غير واحد من الآيات، قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ على هؤُلاءِ شَهِيداً) . (۱) وقال تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤَذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُون) (۲)

وقال عزّ اسمه: (وَوُضِعَ الْكِتابُ وَجِىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداء) . (۳)

والشهادة فيها مطلقة، وظاهر الجميع ـ على إطلاقها ـ هو الشهادة على اعمال الاُمم، وعلى تبليغ الرسل كما يومئ إليه، قوله تعالى: (فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرسَلين) . (۴)

وظرف الشهادة وإن كان هو الآخرة لكن الشهداء يتحملوها فى الدنيا. قال سبحانه: (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيد) . (۵)

وعلى ضوء ذلك يثار هذا السؤال فى الذهن،وهو:

إنّ الشهادة من الحضور ولم يكن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ظاهراً مع جميع الاُمة بل كان بمعزل عنهم إلاّ شيئاً لا يذكر، فكيف يشهد وهولم يحضر الواقعة أى أفعال أُمّته قاطبة؟

وهناك إشكال آخر أكثر غموضاً وهو: انّ الشهادة على ظاهر الاَعمال ليست مفيدة يوم القيامة،بل الشهادة على باطن الاَعمال من كون الصلاة للّه أو للرياء

---

۱ ـ النساء:۴۱.

۲ ـ النحل:۸۴.

۳ ـ الزمر:۶۹.

۴ ـ الاَعراف:۶.

۵ ـ المائدة:۱۱۷.

( ۵۵ )

وللسمعة، وانّ إيمانه هل كان إيماناً نابعاً من صميم ذاته، أو نفاقاً لاَجل حطام الدنيا، فهذا النوع من الاَعمال لا يمكن الشهادة عليها حتى بنفس الحضور عند المشهود عليه؟

وهذا يدفعنا إلى القول بأنّ لشهداء الاَعمال عامة والنبى الخاتم خاصة قدرة غيبية خارقة يطّلع من خلالها على أعمال العباد ظاهرها وباطنها وذلك بقدرة من اللّه سبحانه، وعلى ذلك فهذه الشهادة عبارة عن الاطلاع على أعمال الناس فى الدنيا من سعادة أو شقاء،وانقياد وتمرّد، وإيمان وكفر، وأداء ذلك فى الآخرة يوم يستشهد اللّه من كلّ شىء حتى من أعضاء الاِنسان، وعند ذلك يقوم النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ويقول: (يا رَبِّ إِنَّ قَوْمى اتَّخَذُوا هذَا الْقُرآن مَهْجُوراً) .

فإذا كانت الشهادة بهذا المعنى فلا ينالها إلاّ الاَمثل فالاَمثل من الاُمّة، لا الاُمة بأسرها،وعلى ضوء ذلك فيكون المراد من قوله سبحانه:(وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَعَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداً) (۱) هم الكاملين من الاُمّة لا المتوسطين وما دونهم.

وأمّا نسبة الشهادة إلى قاطبة أُمّة النبى، فى قوله تعالى:(وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسطاً) فليس بشىء بديع، إذ ربّما يكون الوصف لبعض الاُمّة وينسب الحكم إلى جميعهم، كما فى قوله سبحانه فى حقّ بنى إسرائيل:(وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً) على الرغم من أنّ الملوك فيهم لم يكن يتجاوز عددهم عدد الاَصابع.

وثمة حديث منقول عن الاِمام الصادق (عليه السلام) فى تفسير قوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النّاسِ وَيَكونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداً ) يؤيد هذا

---

۱ ـ البقرة:۱۴۳.

( ۵۶ )

المعنى«الشهادة للاَمثل» :«فإن ظننت أنّاللّه عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى انّمن لا تجوز شهادته فى الدنيا على صاع من تمر يطلب اللّه شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الاُمم الماضية؟ كلا: لم يعن اللّه مثل هذا من خلقه، يعنى الاُمّة التى وجبت لها دعوة إبراهيم ( كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس) وهم الاَمّة الوسطى، وهم خير أُمّة أُخرجت للنّاس». (۱) الحلف بالنبى كناية ربّما يحلف القرآن الكريم بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كناية، قال سبحانه: (لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَد *وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَد * وَوالِدٍ وَما وَلَد * لَقَدْخَلَقْنَا الاِنْسانَ فى كَبَد) . (۲)

والحِلُّ بمعنى المقيم وكأنّه سبحانه يقول: وأنت يا محمد مقيم به، وهو محلك وهذا تنبيه على شرف البلد بشرف من حلّبه وهو الرسول الداعى إلى توحيده، وإخلاص عبادته، وبيان أنّ تعظيمه له وقسمه به لاَجله ولكونه حالاً فيه، كما سميت المدينة طيبة لاَنّها

طابت به حيّاً وميتاً. (۳)

وكأنّ الآيـة تشير إلى المثل المعروف شـرف المكان بالمكين، وانّقداسـة مكـة والداعى إلى الحلف بها هو احتضانها للنبييقول العلاّمة الطباطبائى: والحل مصـدر كالحلول بمعنى الاِفاضـة والاسـتقرار فى مكان، والمصـدر بمعنى الفاعل، والمعنى: أقسم بهذا البلد، والحال انّك حال به مقيم فيه، وفى ذلك تنبيه على تشرّف مكة بحلوله فيها وكونها مولده ومقامه. (۴)

---

۱ ـ الميزان:۱|۳۳۲.

۲ ـ البلد:۱ـ۴.

۳ ـ مجمع البيان:۱۰|۴۹۲.

۴ ـ الميزان: ۲۰|۲۸۹.

## الفصل الرابع

الفصل الرابع القسم بالقرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الذى أنزله سبحانه على رسوله ليكون للعالمين نذيراً، وبما أنّ القرآن كتاب هداية للناس، فقد نال من الكرامة بمكان حلف به سبحانه فتارة بلفظ «القرآن »وأُخرى بلفظ «الكتاب».

فقد حلف بالقرآن فى ثلاث آيات:

(يس * وَالقُرآنِ الحَكيم * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * على صراطٍ مُسْتَقيم) . (۱)

(ص وَالقُرآنِ ذى الـذِّكْر * بَلِ الَّذيـنَ كَفَرُوا فى عِزَّة وَشِقاق * كَمْ أَهْلَكْنـا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنـادَوا وَلاتَ حينَمَنـاص * وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقالَالكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذّاب * أَجَعلَ الآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنّ هذا لشىءٌ عُجاب).(۲)

(ق وَالقُرآنِ المَجيد * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الكافِرُونَ هذا شَىءٌ عَجيب) . (۳)

---

۱ ـ يس ۱ـ۴.

۲ ـ ص:۱ـ۵.

۳ ـ ق:۱ـ۲.

( ۵۸ )

كما حلف سبحانه بلفظ الكتاب مرّتين،وقال:

(حم * وَالكِتاب الْمُبين *إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرينَ * فِيها يُفرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكيم *أَمراً مِنْ عِنْدِنا إِنّا كُنّا مُرسِلين). (۱)

(حم * وَالْكِتابِ الْمُبِينِ * إِنّا جَعَلْناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *وَإِنَّهُ فى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ) . (۲)

وقبل الخوض فى تفسير الآيات نذكر أُموراً:

الاَوّل: انّه سبحانه صدّر هذه الاَقسام بالحروف المقطعة كما هو واضح، وهذا يؤيد أنّ كلمة يس من الحروف المقطعة، والحروف المقطعة عبارة عن الحروف التى صدّر بها قسم من السور يجمعها قولنا:«صراط على حق نمسكه» وعند التحليل يرجع إلى:

ا، ح، ر، س، ص، ط ، ع ، ق، ك ، ل، م ، ن ،هـ ، ى.

والعجب أنّهذه الحروف هى نصف الحروف الهجائية.

الثانى: ما هو المراد من الحروف المقطعة؟

افتتح القرآن الكريم قسماً من السور بحروف مقطعة أعنى السور التالية:

۱. البقرة، ۲. آل عمران، ۳. الأعراف، ۴. يونس، ۵. هود، ۶. يوسف، ۷. الرعد، ۸. إبراهيم، ۹. الحجر، ۱۰. مريم، ۱۱. طه، ۱۲. الشعراء، ۱۳. النمل، ۱۴.

---

۱ ـ الدخان:۱ـ۵.

۲ ـ الزخرف:۱ـ۴.



القصص، ۱۵. العنكبوت، ۱۶. الروم، ۱۷.لقمان، ۱۸. السجدة، ۱۹. يس، ۲۰. ص، ۲۱. غافر، ۲۲. فصلت، ۲۳. الشورى، ۲۴. الزخرف، ۲۵. الدخان، ۲۶. الجاثية، ۲۷. الأحقاف، ۲۸. ق، ۲۹. القلم.

فهذه السور التى يبلغ عددها ۲۹ سورة افتتحت بالحروف المقطعة.

وقد تطرق المفسرون إلى بيان ما هو المقصود من هذه الحروف. وذكروا وجوهاً كثيرة نقلها فخرالدين الرازى فى تفسيره الكبير تربو على عشرين وجهاً. (۱)

وها نحن نقدم المختار ثمّ نلمح إلى بعض الوجوه. إلماع إلى مادة القرآن إنّالقرآن الكريم تحدّى المشركين بفصاحته وبلاغته وعذوبة كلماته ورصانة تعبيره، وادعى أنّهذا الكتاب ليس من صنع البشر بل من صنع قدرة إلهية فائقة لا تبلغ إليها قدرة أىّ إنسان ولو بلغ فى مضمار البلاغة والفصاحة ما بلغ.

ثمّ إنّه أخذ يورد فى أوائل السور قسماً من الحروف الهجائية للإلماع إلى أنّ هذا الكتاب مؤلف من هذه الحروف، وهذه الحروف هى التى تلهجون بها صباحاً ومساءً فلو كنتم تزعمون أنّه من صُنْعى فاصنعوا مثله، لأنّ المواد التى تركب منها القرآن كلّها تحت أيديكم واستعينوا بفصحائكم وبلغائكم، فإن عجزتم، فاعلموا أنّه كتاب منزل من قبل اللّه سبحانه على عبد من عباده بشيراً ونذيراً.

وهذا الوجه هو المروى عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهو خيرة جمع من المحقّقين، وإليك ما ورد عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فى هذا المقام:

أ: روى الصدوق بسنده عن الإمام العسكرى (عليه السلام) ، انّه قال: «كذبت

---

۱ ـ تفسير الفخر الرازى:۲|۵ـ ۸.



قريش واليهود بالقرآن، وقالوا: هذا سحر مبين، تقوّله، فقال اللّه: (الم * ذلِكَ الكتاب) أى يا محمّد هذا الكتاب الذى أنزلته إليك هو الحروف المقطعة التى منها (الم) وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا بذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بيّن أنّهم لا يقدرون عليه بقوله: (لَئِن اجْتَمَعتِ الإِنْس وَالجِنّ عَلى أَنْيَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآن لا يَأْتُونَ بِمِثْلِه وَلَو كانَبَعضهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً) (۱)» . (۲)

وبه قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى(۲۵۴ـ ۳۲۲هـ) من كبار المفسرين، حيث قال: إنّ الذى عندنا أنّه لما كانت حروف المعجم أصل كلام العرب وتحدَّاهم بالقرآن وبسورة من مثله، أراد أنّ هذا القرآن من جنس هذه الحروف المقطعة تعرفونها وتقتدرون على أمثالها، فكان عجزكم عن الإتيان بمثل القرآن وسورة من مثله دليلاً على أنّالمنع والتعجيز لكم من اللّه على أمثالها، وانّه حجّة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال: وممّا يدل على تأويله أنّ كلّسورة افتتحت بالحروف التى أنتم تعرفونها، بعدها إشارة إلى القرآن، يعنى أنّه مؤلف من هذه الحروف التى أنتم تعرفونها وتقدرون عليها، ثمّسأل نفسه، وقال: إن قيل لو كان المراد هذا لكان قد اقتصر اللّه

تعالى على ذكر الحروف فى سورة واحدة؟ فقال: عادة العرب التكرار عند إيثار إفهام الذى يخاطبونه. (۳)

واختاره الزمخشرى(۴۶۷ـ ۵۳۸هـ) فى تفسيره، وقال: واعلم أنّك إذا تأملت ما أورده اللّه عزّسلطانه فى الفواتح من هذه الاَسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم: ۱۴ سواه، وهى: الاَلف واللام والميم والصاد والراء والكاف

---

۱ ـ الاَسراء:۸۸.

۲ ـ تفسير البرهان:۱|۵۴، تفسير الآية الثالثة من سورة البقرة برقم ۹.

۳ ـ تاريخ القرآن للزنجانى: ۱۰۶.



والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون، فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.

ثمّ إذا نظرت فى هذه الاَربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أنّ فيها من المهموسة نصفها: الصاد والكاف والهاء والسين والحاء.

ومن المهجورة نصفها: الاَلف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون.

ومن الشديدة نصفها: الاَلف والكاف والطاء والقاف.

ومن الرخوة نصفها: اللام والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون.

ومن المطبقة نصفها: الصاد والطاء.

ومن المنفتحة نصفها: الاَلف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون.

ومن المستعلية نصفها: القاف والصاد والطاء.

ومن المنخفضة نصفها: الاَلف واللام والميم والراء والكاف والهاء و الياء والعين والسين والحاء والنون.

ومن حروف القلقلة نصفها: القاف والطاء.

ثمّ إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى اللّه ذكرها من هذه الاَجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذى دقت فى كلّ شىء حكمته وقد علمت أنّ معظم الشىء وجلّه ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف



التنزيل.

فكأنّ اللّه عزّاسمه عدّد على العرب الاَلفاظ التى منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إيّاهم. (۱)

ومن المتأخرين من بيّن هذا الوجه ببيان رائع ألا وهو المحقّق السيد هبة الدين الشهرستانى (۱۳۰۱ـ ۱۳۸۶هـ) قال ما هذا نصّه:

إنّ القرآن مجموعة جمل ليست سوى صبابة أحرف عربية من جنس كلمات العرب ومن يسير اعمال البشر وقد فاقت مع ذلك عبقرية، وكلما كان العمل البشرى أيسر صدوراً وأكثر وجوداً، قلّ النبوغ فيه وصعب افتراض الاِعجاز والاِعجاب منه، فإذا الجمل القرآنية ليست سوى الحروف المتداولة بين البشر، فهى عبارة عن «الم»و «حمعسق» فلماذا صار تأليف جملة أو جمل منه مستحيل الصدور؟ هذا ونجد القرآن يكرر تحدى العرب وغير العرب بإتيان شىء من مقولة هذا السهل الممتنع كالطاهى يفاخر المتطاهى بأنّه يصنع الحلوى اللذيذة من أشياء مبذولة لدى الجميع كالسمن واللوز ودقيق الرز، بينما المتطاهى لا يتمكن من ذلك مع استحضاره الاَدوات، وكذلك الكيمياوى الماهر يستحضر المطلوب المستجمع لصفات الكمال، وغيره يعجز عنه مع حضور جميع الاَدوات والاَجزاء، وكذلك القرآن يقرع ويسمع قومه بأنّ أجزاء هذا المستحضر القرآنى موفورة لديكم من ح وم ول و رو ط و ه و أنتم مع ذلك عاجزون. (۲)

ويوَيـد هذا الرأى أنّ أكثر السور التى صدرت بالحروف المقطعة جاء بعدها ذكر القرآن الكريم بتعابير مختلفة، ولم يشذَّ عنها إلّا سور أربع، هى: مريم

---

١ ـ الكشاف:١|١٧، ط دار المعرفة.

٢ ـ المعجزة الخالدة:١١٥ـ ١١٦.



والعنكبوت والروم والقلم، ففى غير هذه السور أردف الحروف المقطعة بذكر الكتاب والقرآن، وإليك نماذج من الآيات:

(الم * ذلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقين) . (١)

(الم...نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَبِالْحَقّ مُصدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوراةَ وَالإِنْجِيل) . (٢)

(المص * كِتابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) . (٣)

(الر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكيم) . (۴)

إلى غير ذلك من السور ما عدا الاَربع التى أشرنا إليها.

ثمّإنّهـذا الوجه هو الوجه العاشر فى كلام الرازى ونسبه إلى المبرد، وإلى جمع عظيم من المحقّقين وقال:إنّماللّه إنّما ذكرها احتجاجاً على الكفار، وذلك أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تحدّاهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة، فعجزوا عنه، أنزلت هـذه الحروف تنبيهاً على أنّالقرآن ليس إلّا من هـذه الحروف وأنتم قادرون عليها، وعارفون بقوانين الفصاحة، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دلّذلك على أنّه من عند اللّه لا من عند البشر. (۵)

هذا هو الرأى المختار وقد عرفت برهانه.

وثمة رأى آخر أقل صحة من الاَوّل، وحاصله: انّ كلّ واحد منها دال على

---

١ ـ البقرة: ١ـ٢.

٢ ـ آل عمران:١ـ٣.

٣ ـ الاَعراف: ١ـ٢.

۴ ـ يونس:١.

۵ ـ تفسير الفخر الرازى:٢|۶.



اسم من أسماء اللّه تعالى وصفة من صفاته.

قال ابن عباس فى (الم): الاَلف إشارة إلى أنّه تعالى أحـد، أوّل، آخر، أزلى، أبـدى، واللام إشارة إلى أنّه لطيف، والميم إشارة إلى انّه ملك ، مجيد، منّان.

وقـال فى (كهيعص): إنّه ثنـاء من اللّه تعالى على نفسه، والكاف يـدل على كونه كافياً، والهاء يـدل على كونه هادياً، والعين يـدل على العالم، والصاد يدل على الصادق.

وذكر ابن جرير عن ابن عباس انّه حمل الكاف على الكبير والكريم، والياء على أنّه يجير، والعين على العزيز و العدل. (١)

ونقل الزنجانى فى تأييد ذلك الوجه ما يلى:

وفى الحديث: «شعاركم حم لا ينصرون»، قال الاَزهرى: سئل أبو العباس، عن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): حم لا ينصرون. فقال:

معناه واللّه لا ينصرون.

وفى لسان العرب فى حديث الجهاد: «إذا بُيّتم فقولوا حاميم لا ينصرون» قال ابن الاَثير: معناه اللهم لا ينصرون. (۲)

إذا عرفت هذه الاُمور، فلنرجع إلى تفسير الآيات التى حلف فيها سبحانه بالقرآن والكتاب، وإليك البيان:

۱. (يس * والْقُرآن الحَكيم * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرسَلين) فالمقسم به هو القرآن، والمقسم عليه قوله: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرسَلين)، والصلة بين القرآن وبين كونه من المرسلين واضحة، لاَنّ القرآن أداة تبليغه ورسالته ومعجزته الخالدة_____.

۱ ـ تفسير الفخر الرازى:۲|۶.

۲ ـ تاريخ القرآن:۱۰۵.



وأمّا وصف القرآن بالحكيم، فلاَنّه مستقرٌ فيه الحكمة، وهى حقائق المعارف وما يتفرع عليها من الشرائع والعبر و المواعظ. (۱)

۲.(ص * والقُرآن ذى الذِّكر *بَلِالَّذينَكَفَرُوا فى عِزَّة وَشقاق * كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلاتَ حينَ مَناص) .

وصف القرآن بكونه (ذى الذكر) كما وصفه فى الآية السابقة بكونه (حكيماً) ووصفه تارة ثالثة بـ(المجيد)، والمراد بالذكر هو ذكر ما جُبل عليه الاِنسان من التوحيد والمعاد.

قال الطبرسى: فيه ذكر اللّه وتوحيده وأسماوَه الحسنى وصفاته العلى، وذكر الاَنبياء، وأخبار الاُمم، وذكر البعث والنشور، وذكر الاَحكام وما يحتاج إليه المكلّف من الاَحكام ويوَيده قوله: (ما فَرَّطنا فى الكتاب من شىء) . (۲)

قال الطباطبائى فى تفسيره: المراد بالذكر ذكر اللّه تعالى وتوحيده وما يتفرّع عليه من المعارف الحقّة من المعاد والنبوة وغيرهما.

ويوَيد ذلك إضافة الذكر فى غير واحد من الآيات إلى لفظ الجلالة، قال سبحانه: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّه) (۳) وقال: (استَحْوَذَ عَلَيهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكرَ اللّه) (۴) إلى غير ذلك.

وأمّا المقسم عليه: فمحذوف معلوم من القرينة، هو أنّك لمن المنذرين، ويدل على ذلك التنديد بالذين كفروا وانّهم فى عزّة وشقاق، أى فى تكبّر عن

---

۱ ـ تفسير الميزان:۱۷|۶۲.

۲ ـ مجمع البيان:۸|۴۶۵.

۳ ـ الحديد:۱۶.

۴ ـ المجادلة:۱۹.



قبول الحق وحمية جاهلية، وشقاق أى عداوة وعصيان ومخالفة، لاَنّهم يأنفون عن متابعة النبيويصرّون على مخالفته، ثمّخوّفهم اللّه سبحانه، فقال: كم أهلكنا من قبلهم من قرن بتكذيبهم الرسل فنادوا عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة ولات حين مناص.

والصلة بين المقسم به (القُرآن ذى الذِّكر ) والمقسم عليه المقدّر «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُنْذَرين» واضحة، لاَنّ القرآن من أسباب انذاره وأدوات تحذيره.

۳.(ق والقُرآنِ المَجيد * بَلْ عَجبوا انْ جاءَهم مُنْذِر مِنْهُمْفَقالَ الكافِرونَهذا شَىءٌ عَجيب) . (۱)

المقسم به هوالقرآن ووصفه بالمجيد، قال الراغب: المجد السعة فى المقام والجلال، وقد وصف به القرآن الكريم، فلاَجل كثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والاُخروية، فالمجيد مبالغة فى المجد.

وقال الطبرسى: المجيد أى الكريم على اللّه، العظيم فى نفسه، الكثير الخير والنفع. (۲)

والمقسم عليه: محذوف تدل عليه الجمل التالية، والتقدير: والقرآن المجيد انّك لمن المنذرين، أو أنّالبعث حق والإنذار حق.

وقد ركزت السورة على الدعوة إلى المعاد و وبّخت المشركين باستعجالهم على إنكاره ونقد زعمهم.

والصلة بين المقسم به وجواب القسم واضحة، سواء أقلنا بأنّ المقسم عليه إِنّك مِنَ المنذرين أو انّالبعث والنشر حقّ، أمّا على الأوّل فلأنّ القرآن أحد أدوات

---

۱ ـ ق:۱ـ۲.

۲ ـ مجمع البيان:۹|۱۴۱.



الإنذار ، وأمّا على الثانى فلأنَّ القرآن يتضمن شيئاً كثيراً عن الدعوة إلى المعاد.

ثمّ إنّ القرآن فى الأصل مصدر نحو رجحان، قال سبحانه: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ * فَإِذا قَرَأْناهُ فاتَّبع قُرآنه) (۱) قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه فى صدرك فاعمل به.

وقد خص بالكتاب المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فصار له كالعلم،كما أنّ التوراة لما أُنزل على موسى (عليه السلام) ، و الإنجيل لما أُنزل على عيسى (عليه السلام) ، قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب اللّه لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: (وَتَفصيلاً لكلِّ شيء) (۲)

وعلى هذا فالقرآن من قرأ بمعنى جمع، ولكن يحتمل أن يكون بمعنى القراءة، كما فى قوله سبحانه:(وَقُرآنَ الفَجْر ) (۳) أى قراءته.

الحلف بالكتاب

حلف سبحانه بالكتاب مرتين، وقال:

۱.(حم * والكتابِ المُبين *إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرين) . (۴)

۲.(حم * وَالكتابِ المُبين * إِنّا جَعَلْناهُ قُرآناً عَرَبياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون) . (۵)_____

۱ ـ القيامة:۱۷ـ ۱۸.

۲ ـ الأنعام:۱۵۴.

۳ ـ الإسراء:۷۸.

۴ ـ الدخان:۱ـ۳.

۵ ـ الزخرف:۱ـ۳.



فالمقسم به هو الكتاب، والمقسم عليه فى الآية الأُولى قوله: (إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ)، والصلة بينهما واضحة، حيث يحلف بالكتاب على أنّه منزل من جانبه سبحانه فى ليلة مباركة.

كما أنّالمقسم به فى الآية الثانية هو ا لكتاب المبين، والمقسم عليه هو الحلف على أنّه سبحانه جعله قرآناً عربياً للتعقل، والصلة بينهما واضحة.

ووصف الكتاب بالمبين دون غيره، لأنّ الغاية من نزول الكتاب هو إنذارهم وتعقّلهم كما جاء فى الآيتين، حيث قال: (إِنّا كُنّا مُنذرين) وقال: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون) ، وهذا النوع من الغاية أى الإنذار والتعقل يطلب لنفسه أن يكون الكتاب واضحاً مفهوماً لا مجهولاً ومعقداً.

والكتاب فى الأصل مصدر، ثمّ سمّى المكتوب فيه كتاباً.

إلى هنا تمّ الحلف بالقرآن والكتاب.

بقى هنا الكلام فى عظمة المقسم به ويكفى فى ذلك أنّه فعله سبحانه حيث أنزله لهداية الناس وإنقاذهم من الضلالة.

وقد تكلّم غير واحد من المفكرين الغربيين حول عظمة القرآن، والاَحرى بنا أن نرجع إلى نفس القرآن ونستنطقه حتى يبدى رأيه فى حق نفسه.

أ: القرآن نور ينير الطريق لطلاب السعادة: قال سبحانه: (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِين) . (۱)

ب: انّه هدى للمتَّقين: قال سبحانه: (هُدىً لِلْمُتَّقين) . (۲_____)

۱ ـ المائدة:۱۵.

۲ ـ البقرة:۲.



فهو وإن كان هدى لعامة الناس، إلاّ أنّه لا يستفيد منه إلاّ المتقون، ولذلك خصّهم بالذكر.

ج: هو الهادى إلى الشريعة الاَقوم: قال سبحانه: (إِنَّ هذا القُرآنَ يَهدِى لِلَّتى هِى أَقْوم) . (۱)

د: الغاية من إنزاله قيام الناس بالقسط: قال سبحانه: (وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ) . (۲)

هـ: لا يتطرق إليه الاختلاف فى فصاحته وبلاغته ولا فى مضامينه ولا محتواه: قال سبحانه: (وَلَوْ كانَمِنْ عِنْدِ غَيرِ اللّهِ لوَجَدُوا فِيهِ اختلافاً كَثِيراً) . (۳)

و: يحث الناس إلى التدبر والتفكّر فيه (كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ) . (۴)

ز: تبيان لكلّشىء: (وَنَزلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَىء) . (۵)

ح: نذير للعالمين: (تَبارَكَ الَّذى نَزَّل الفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً) . (۶)

ط: فيه أحسن القصص: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَص) . (۷_____)

۱ ـ الاِسراء:۹.

۲ ـ الحديد:۲۵.

۳ ـ النساء:۸۲.

۴ ـ ص:۲۹.

۵ ـ النحل:۸۹.

۶ ـ الفرقان:۱.

۷ ـ يوسف:۳.



ى:ضُرب فيه للناس من كلّ مثل: (وَلَقَدْ صَرَّفْنا فى هذا الْقُرآنِ لِلنّاسِ من كُلِّ مَثَل) . (۱)

هذه نماذج من الآيات التى تصف القرآن ببعض الاَوصاف.

وللنبى والاَئمة المعصومين كلمات قيمة حول التعريف بالقرآن ننقل شذرات منها:

قام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً، فقال: «أيّها الناس انّكم فى دار هدنة وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان، كلّ جديد، ويقرّبان كلّ بعيد، ويأتيان بكلّموعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز».

فقام المقداد بن الاَسود، وقال: يا رسول اللّه و ما دار الهدنة؟ قال:« دار بلاغ وانقطاع.

فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع وماحل مصدَّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه، ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر

وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فـإنّ التفكّر حيـاة قلـب البصـير، كمـا يمشـى المسـتنير فى الظلمـات بـالنور، فعليكـم بحسـن التخلص وقلـة الـتربص». (۲)

---

۱ ـ الكهف:۵۴.

۲ ـ الكافى: ۲|۵۹۹، كتاب فضل القرآن.

( ۷۱ )

وقال الإمام على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى وصف القرآن:

«ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده،وبحراً لا يدرك قعره، فهو ينابيع العلم وبحوره، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون». (۱)

إلى غير ذلك من الخطب والكلم حول التعريف بالقرآن الواردة عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) .

---

۱ ـ نهج البلاغة، الخطبة ۱۹۸.

## الفصل الخامس

الفصل الخامس القسم بالعصر

حلف سبحانه بالعصر مرّة واحدة دون أن يقرنه بمقسم به آخر، وقال: (وَالعَصْر * إِنّ الإِنْسانَلَفى خُسْر ). (۱) تفسير الآيات:

العصر يطلق ويراد منه تارة الدهر، وجمعه عصور.

وأُخرى العشىّ مقابل الغداة، يقال: العصران: الغداة والعشى، والعصران الليل والنهار، كالقمرين للشمس و القمر.

وثالثة بمعنى الضغط فيكون مصدر عصرت. والمعصور الشىء العصر، والعُصارة نفاية ما يُعصر، قال سبحانه: (أَرانى أَعْصِرُخَمراً) (۲)، وقال: (وفيهِ يَعْصِرُون) (۳) ،وقال: (وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً) (۴) أى السُّحُب التى تعتصر بالمطر.

ورابعة بمعنى ما يثير الغبار، قال سبحانه: (فَأَصابَها إعصار ) (۵) (۶)

والمراد من الآية أحد المعنيين الأوّليين_____.

۱ ـ العصر:۱ـ۲.

۲ ـ يوسف:۳۶.

۳ ـ يوسف:۴۹.

۴ ـ النبأ:۱۴.

۵ ـ البقرة:۲۶۶.

۶ ـ مفردات القرآن،مادة عصر و مجمع البيان:۵|۵۳۵.

( ۷۳ )

الأوّل: الدهر والزمان.

الثانى: العصر مقابل الغداة.

ولا يناسب المعنى الثالث، أعنى: الضغط، ولا الرابع كما هو واضح.

وإليك بيان المعنيين الاَوّلين.

١. العصر: الدهر، وإنّما حلف به لاَنّ فيه عبرة لذوى الاَبصار من جهة مرور الليل والنهار، وقد نسب ذلك ا لقول إلى ابن عباس والكلبى والجبائى.

قال الزمخشرى: وأقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب. (١)

ولعلّ المراد من الدهر والزمان اللّذين يفسرون بهما العصر هو تاريخ البشرية، وذلك لاَنّه سبحانه جعل المقسم عليه كون الاِنسان لفى خسر إلاّ طائفة خاصة، ومن المعلوم أنّ خسران الاِنسان انّه هو من تصرم عمره ومضى حياته من دون أن ينتفع بأغلى رأس مال وقع فى يده، وقد نقل الرازى هنا حكاية طريفة نأتى بنصها:

قال: وعن بعض السلف، تعلمت معنى السورة من بائع الثلج كان يصيح، ويقول: ارحموا من يذوب رأس ماله، ارحموا من يذوب رأس ماله، فقلت: هذا معنى أنّ الاِنسان لفى خسر يمرّ به العصر فيمضى عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسر. (٢)

٢.العصر: أحد طرفى النهار، وأقسم بالعصر كما أقسم بالضحى، وقال: (والضحى *واللَّيل إذا سَجى) (٣) كما أقسم بالصبح، وقال: (والصُّبح إِذا أَسفَر )(١)،

---

١ ـ الكشاف:٣|٣٥٧.

٢ ـ تفسير الفخر الرازى:٣٢|٨٥.

٣ ـ الضحى:١ـ٢.

( ٧۴ )

وإنّما أقسم بالعصر لاَهميته، إذ هو فى وقت من النهار يحدث فيه تغيير فى نظام المعيشة وحياة البشر، فالاَعمال اليومية تنتهى، والطيور تعود إلى أوكارها، وتبدأ الشمس بالميل نحو الغروب، ويستولى الظلام على السماء، ويخلد الاِنسان إلى الراحة.

وهناك قولان آخران:

أ: المراد عصر الرسول، ذلك لما تضمنته الآيتان التاليتان من شمول الخسران للعالم الاِنسانى، إلاّ لمن اتبع الحقّ وصبر عليه، وهم المؤمنون الصالحون عملاً، وهذا يؤكد على أن يكون المراد من العصر عصر النبى «صلى الله عليه وآله وسلم»، وهو عصر بزوغ نجم الاِسلام فى المجتمع البشرى وظهور الحقّ على الباطل.

ب:المراد به وقت العصر، وهو المروى عن مقاتل، وإنّما أقسم بها، لفضلها بدليل، قوله:(حافِظُوا عَلى الصَّلواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطى) (٢) كما قيل أنّالمراد من قوله تعالى: (تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللّهِ) (٣) هو صلاة العصر.

أضف إلى ذلك انّ صلاة العصر يحصل بها ختم طاعات النهار، فهى كالتوبة يختم بها الاَعمال.

ولا يخفى انّ القول الاَخير فى غاية الضعف، إذ لا صلة بين القسم بصلاة العصر والمقسم عليه، أعنى (الاِنْسان لفى خُسر ) على أنّه لو كان المقسم به هو صلاة العصر، لماذا اكتفى بالمضاف إليه، وحذف المضاف مع عدم توفر قرينة عليه، ومنه يظهر حال الوجه المتقدّم عليه_____.

١ ـ المدثر:٣۴.

٢ ـ البقرة:٢٣٨.

٣ ـ المائدة:١٠۶.

( ٧۵ )

والظاهر أنّ الوجه الاَوّل هو الاَقوى، حيث إنّ الحلف بالزمان وتاريخ البشرية يتناسب مع الجواب، أى خسران الاِنسان فى الحياة، كما

سيوافيك بيانه.

وأمّا المقسم عليه، فهو قوله سبحانه : (إِنَّ الإِنْسانَ لَفى خُسْرٍ ) والمراد من الخسران هو مضى أثمن شىء لديه وهو عمره، فالإِنسان فى كلّ لحظة يفقد رأس ماله بنحو لا يُعوَّض بشىء أبداً، وهذه هى سنة الحياة الدنيوية حيث ينصرم عمره ووجوده بالتدريج، كما تنصرم طاقاته إلى أن يهرم ويموت، فأى خسران أعظم من ذلك.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فأوضح من أن يخفى، لأنّ حقيقة الزمان حقيقة متصرّمة غير قارة، فهى تنقضى شيئاً فشيئاً، وهكذا الحال فى عمر الإِنسان فيخسر وينقص رأس ماله بالتدريج.

ثمّ إنّه سبحانه استثنى من الخسران من آمن وعمل صالحاً وتواصى بالحق وتواصى بالصبر.

ووجه الاستثناء واضح. لأنّه بدّل رأس ماله بشىء أغلى وأثمن، يستطيع أن يقوم مقام عمره المنقضى فهو بإيمانه وعمله الصالح اشترى حياة دائمة، حافلة برضوانه سبحانه، ونعمه المادية والمعنوية.

يقول سبحانه: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فى سَبيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوراةِ وَالإِنْجيلِ وَالقُرآنِ وَمَنْ أَوفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذى بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظيم) . (۱)

---

۱ ـ التوبة:۱۱۱.



## الفصل السادس

الفصل السادس القسم بالنجم

وردت كلمة النجم فى القرآن الكريم أربع مرّات فى أربع سور، (۱) وحلف به مرة واحدة، وقال: (وَالنَّجمِ إِذا هَوى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْىٌ يُوحى) (۲) هى من السور المكية. تفسير الآيات

النجم فى اللغة: الكوكب الطالع، وجمعه نجوم، فالنجوم مرّة اسم كالقلوب والجيوب، ومرّة مصدر كالطلوع والغروب.

وأمّا «هوى» فى قوله: (إِذا هَوى) فيطلق تارة على ميل النفس إلى الشهوة، وأُخرى على السقوط من علو إلى سفل.

ولكن تفسيره بسقوط النجم وغروبه، لا يساعده اللفظ، وإنّما المراد هو ميله، وسيوافيك وجه الحلف بالنجم إذا هوى أى إذا مالَ.

ثمّ إنّ المراد من النجم أحد الأمرين:

أ: أمّا مطلق النجم، فيشمل كافة النجوم التى هى من آيات عظمة اللّه سبحانه ولها أسرار ورموز يعجز الذهن البشرى عن الإِحاطة بها.

---

۱ ـ وهى :النحل:۱۶، النجم:۱، الرحمن:۶، الطارق:۳.

۲ ـ النجم:۱ـ۴.



ب: المراد هو نجم الشعرى الذى جاء فى نفس السورة، قال سبحانه: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرى) . (۱)

ونظيره القول بأنّالمراد هو الثريا، وهى مجموعة من سبعة نجوم، ستة منها واضحة وواحد خافت النور، وبه يختبر قوة البصر.

وربما فسر بالقرآن الذى نزل على قلب رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» طيلة ۲۳ سنة لنزوله نجوماً. (۲) لكن لفظ الآية لا يساعد على هذا المعنى.

فاللّه سبحانه إمّا أن يحلف بعامة النجوم أو بنجم خاص يهتدى به السائر، ويدل على ذلك أنّه قيد القسم بوقت هويه، ولعل الوجه هو

أنّالنجم إذا كان فى وسط السماء يكون بعيداً عن الأرض لا يهتدى به السارى، لأنّه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا زال، تبيّن بزواله جانب المغرب من المشرق. (٣)

وأمّا المقسم عليه: فهو قوله سبحانه: (ما ضَلَّ صاحِبكُمْ وَما غوى *وما ينطق عن الهَوى *إِنْ هُوَ إِلّاوَحيٌ يُوحى) .

جمع سبحانه هناك بين الضلال والغى فنفاهما عن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ، والقرآن يستعمل الضلالة فى مقابل الهدى، يقول سبحانه: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذا اهْتَدَيْتُمْ) (۴)

كما يستعمل الغى فى مقابل الرشد، يقول سبحانه: (وَإِنْ يَرَوا سَبيلَ الرُّشْدِ

---

١ ـ النجم:۴٩.

٢ ـ انظر الميزان:١٩|٢٧؛ مجمع البيان:۵|١٧٢.

٣ ـ تفسير الفخر الرازى:٢٨|٢٧٩.

۴ ـ المائدة:١٠۵.



لا يَتَّخذوهُ سَبيلاً وَإِنْ يَرَوا سَبيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبيلاً) . (١)

والمهم بيان الفرق بين الضلالة والغواية، فنقول:

ذكر الرازى أنّ الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلاً، والغواية أن لا يكون له طريق مستقيم إلى المقصد، يدلّك على هذا انّك تقول للموَمن الذى ليس على طريق السداد، انّه سفيه غير رشيد، ولا تقول إنّه ضال. والضال كالكافر والغاوى كالفاسق. (٢)

وإلى ذلك يرجع ما يقول الراغب: الغىّ جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقاداً لا صالحاً ولا فاسداً، وقد يكون من اعتقاد شىء، وهذا النحو الثانى، يقال له: غىّ. (٣)

وعلى هذا فالآية بصدد بيان نفى الضلالة والغى عن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وردّ كلّ نوع من أنواع الانحراف والجهل والضلال والخطأ عنه «صلى الله عليه وآله وسلم» ليردّ به التهم الموجهة إليه من جانب أعدائه.

وأمّا بيان الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فواضح، لما ذكرنا من أنّ النجم عند الهوى والميل يهتدى به السارى كما أنّ النبييهتدى به الناس، أى بقوله وفعله وتقريره.

فكما أنّه لا خطأ فى هداية النجم لأنّها هداية تكوينية، وهكذا لا خطأ فى هداية الوحى الموحى إليه، ولذلك قال:(إِنْ هُوَ إِلّا وَحْىٌ يُوحى_____) .

١ ـ الأعراف:١۴۶.

٢ ـ تفسير الفخر الرازى: ٢٨| ٢٨٠.

٣ ـ مفردات الراغب: ٣۶٩.



## الفصل السابع

الفصل السابع القسم بمواقع النجوم

حلف سبحانه وتعالى فى سورة الواقعة بمواقع النجوم، وقال:(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُوم *وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظيم *إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَريم * فِى كِتابٍمَكْنُون * لا يَمَسُّهُ إِلّاالمُطَهَّرُون). (١) تفسير الآيات المراد من مواقع النجوم مساقطها حيث تغيب.

قال الراغب: الوقوع ثبوت الشيء وسقوطه، يقال: وقع الطائر وقوعاً، وعلى ذلك يراد منه مطالعها ومغاربها، يقال: مواقع الغيث أى مساقطه. (۲)

ويدل على أنّ المراد هو مطالع النجوم ومغاربها أنّ اللّه سبحانه يقسم بالنجوم وطلوعها وجريها وغروبها، إذ فيها وفى حالاتها الثلاث آية وعبرة ودلالة، كما فى قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الجَوارِ الكُنَّس) (۳) وقال: (وَالنَّجْم إِذا هَوى) وقال: (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِب) ويرجح هذا القول أيضاً، انّ النجوم حيث وقعت فى القرآن فالمراد منها الكواكب، كقوله تعالى: (وَإِدْبار

---

۱ ـ الواقعة:۷۵ـ ۷۹.

۲ ـ مفردات الراغب:۵۳۰، مادة وقع.

۳ ـ التكوير:۱۵ـ ۱۶.

( ۸۰ )

النُّجوم) (۱)صح، وقوله: (وَالشَّمْسُ وَالْقَمرُ وَالنُّجُوم(۲)).

وأمّا المقسم عليه: فهو قوله سبحانه: (إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَريم * فى كِتابٍ مَكْنُون * لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَّهَرُون) وصف القرآن بصفات أربع:

أ: ( لقرآن كريم)، والكريم هو البهى الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كلّشيء أحسنه وأفضله، فاللّه سبحانه كريم، وفعله أعنى القرآن مثله.

وقال الاَزهرى: الكريم اسم جامع لما يحمد، فاللّه كريم يحمد فعاله، والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة.

ب: ( فى كتاب مكنون) ولعل المراد منه هو اللوح المحفوظ، بشهادة قوله: (بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيد * فى لَوحٍ مَحْفُوظ).(۳) ويحتمل أن يكون المراد الكتاب الذى بأيدى الملائكة، قال سبحانه: (فى صُحُفٍمُكَرَّمَة * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرة * بِأَيدِى سَفَرَة * كِرامٍ بَررَة) . (۴)

ج: (لا يَمَسُّه إِلاّالمُطهّرون) فلو رجع الضمير إلى قوله: (لقرآن كريم) ، كما هو المتبادر، لاَنّالآيات بصدد وصفه وبيان منزلته فلا يمس المصحف إلاّ طاهر، فيكون الاِخبار بمعنى الاِنشاء، كما فى قوله سبحانه: (وَالمُطلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوء) . (۵)

ولو قيل برجوع الضمير إلى ( كتاب مكنون ) فيكون المعنى لا يمس

---

۱ ـ الطور:۴۹.

۲ ـ الحج:۱۸.

۳ ـ البروج : ۲۱ ـ ۲۲ .

۴ ـ عبس: ۱۳ ـ ۱۶ .

۵ ـ البقرة:۲۲۸.

( ۸۱ )

الكتاب المكنون إلاّالمطهرون، وربما يؤيد هذا الوجه بأنّ الآية سيقت تنزيهاً للقرآن من أن ينزل به الشياطين، وانّمحله لا يصل إليه، فلا يمسه إلاّالمطهرون، فيستحيل على أخابث خلق اللّه وأنجسهم أن يصلوا إليه أو يمسّوه، قال تعالى: (وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطين * وَما يَنْبَغى لَهُمْ وَما يَسْتَطيعُون) . (۱)

د: (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمين) وهذا هو الذى يركز عليه القرآن فى مواقف مختلفة، وانّه كتاب اللّه وليس من صنع البشر.

وأمّا الصلة بين القسم والمقسم به: فهو واضح، فلاَنّ النجوم بمواقعها أى طلوعها وغروبها يهتدى بها البشر فى ظلمات البر والبحر، والقرآن الكريم كذلك يهتدى به الاِنسان فى ظلمات الجهل والغى، فالنجوم مصابيح حسّية فى عالم المادة كما أنّ آيات القرآن

مصابيح معنوية فى عالم المجردات.

إكمال

إنّه سبحانه قال:(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُوم) فالمراد منه القسم بلا شك، بشهادة انّه قال بعده: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم) فلو كان معنى الآية هو نفى القسم فلا يناسب مابعده حيث يصفه بأنّه حلف عظيم، وقد اختلف المفسرون فى هذه الآيات ونظائرها، إلى أقوال:

١. «لا» زائدة، مثلها قوله سبحانه: (لئلاّ يَعْلَم) .

٢. أصلها لَاقسم بلام التأكيد، فلمّا أشبعت فتحتها صارت «لا » كما فى الوقف.

٣. لا نافية بمعنى نفى المعنى الموجود فى ذهن المخاطب، ثمّ الابتداء

---

١ ـ الشعراء:٢١٠ـ٢١١.



بالقسم، كما نقول: لا واللّه لا صحة لقول الكفار، أقسم عليه.

ثمّ إنّه سبحانه يصف هذا القسم بكونه عظيماً، كما فى قوله (و انّه لقسم لو تعلمون عظيم)، فقوله: (عظيم) وصف (ا لقسم) أُخر لحفظ فواصل الآيات.

وهذا القسم هو القسم الوحيد الذى وصفه سبحانه بأنّه عظيم، فالحديث هنا هو حديث على الَابعاد، أبعاد النجوم عنّا، و عن بعضها البعض، فى مجرّتنا، وفى كل المجرّات، ولَانّها كلّها تتحرك، فانّ الحديث عن مواقعها يصير أيضاً حديثاً على مداراتها، وحركاتها الأُخرى العديدة، وسرعاتها، وعلى علاقاتها بالنجوم الأُخرى، وعلى القوى العظيمة والحسابات المعقدة، التى وضعت كلّ نجم فى موقعه الخاص به وحفظته، فى علاقات متوازنة، دقيقة، محكمة، فهى لا يعتريها الاضطراب، ولا تتغير سننها وقوانينها، وهى لا تسير خبط عشواء أو فى مسارات متقاطعة أو متعارضة بل هى تسير كلّها بتساوق وتناغم وانسجام وانتظام تامّين دائمين، آيات على قدرة القادر سبحانه. (١)

يقول الفلكيون: إنّ من هذه النجوم والكواكب التى تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن روَيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلّا بالمجاهر والَاجهزة، وما يمكن أن تحس به الَاجهزة دون أن تراه، هذه كلّها تسبح فى الفلك الغامض، ولا يوجد أيّاحتمال أن يقترب مجال مغناطيسى لنجم من مجال نجم آخر، أو يصطدم كوكب بآخر إلّا كما يحتمل تصادم مركب فى البحر الَابيض المتوسط بآخر فى المحيط الهادى يسيران فى اتجاه واحد وبسرعة واحدة، وهو احتمال بعيد وبعيداً جداً، إن لم يكن مستحيلاً. (٢)

---

١ ـ أسرار الكون فى القرآن:١٩٢.

٢ ـ اللّه والعلم الحديث:٢۴.



## الفصل الثامن

الفصل الثامن القسم بالسماء ذات الحبك

حلف سبحانه فى سورة الذاريات بأُمور خمسة، وجعل للَاربعة الأُوَل جواباً خاصّاً، كما جعل للخامس من الَاقسام جواباً آخر، وبما انّالمقسم عليه متعدّد فصّلنا القسم الخامس عن الَاقسام الَاربعة، وعقدنا له فصلاً فى ضمن فصول القسم المفرد، قال سبحانه:

(وَالذّارياتِ ذَرْواً * فَالحامِلاتِ وِقْراً * فَالجارِياتِ يُسْراً * فالمُقَسِّماتِ أَمراً * إِنّما تُوعَدُونَ لَصادِق * وإنّ الدِّينَ لَواقِع) . (١)

ترى أنّه ذكر للاَقسام الاَربعة جواباً خاصاً، أعنى قوله: ( إنّما تُوعدون لَصادق * وانّ الدين لواقع) .

ثمّ شرع بحلف آخر، وقال:(وَالسَّماءِ ذات الحُبُكِ *إِنَّكُم لَفِى قَولٍ مُختَلِف).(۲)

فهناك قسم خامس وهو (والسماء ذات الحُبك) وله جواب خاص لا يمت بجواب الاَقسام الاَربعة وهو قوله :(إِنَّكُمْ لَفى قول مختلف)

.

۱ ـ الذاريات:۱ـ ۶.

۲ ـ الذاريات:۷ـ ۸.

( ۸۴ ) تفسير الآيات الحبك جمع الحباك ، كالكتب جمع كتاب، تستعمل تارة فى الطرائق، كالطرائق التى ترى فى السماء، وأُخرى فى الشعر المجعد، وثالثة فى حسن أثر الصنعة فى الشيء واستوائه.

قال الراغب: (والسَّماء ذات الحبك) أى ذات الطرائق، فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة.

ولعلّ المراد منه هو المعنى الاَوّل أى السماء ذات الطرائق المختلفة، ويؤيده جواب القسم، وهو اختلاف الناس وتشتت طرائقهم، كما فى قوله: (إنّكم لفى قول مختلف) ،و ربما يحتمل أنّ المراد هو المعنى الثالث أى أقسم بالسماء ذات الحسن والزينة، نظير قوله تعالى: (إِنّا زَيَّنا السَّماءَ الدُّنيا بزِينةٍ الكَواكِب) (۱)

ولكنه لا يناسبه الجواب، إذ لا يصحّ أن يحلف حالف بالاَمواج الجميلة التى ترتسم بالسحب أو بالمجرّات العظيمة التى تبدو كأنّها تجاعيد الشعر على صفحة السماء، ثمّ يقول: (إِنّكم لفى قول مختلف) ، أى إنّكم متناقضون فى الكلام.

وعلى كلّ حال فالمقسم عليه هو التركيز على أنّهم متناقضون فى الكلام، فتارة ينسبون عقائدهم إلى آبائهم وأسلافهم فينكرون المعاد، وأُخرى يستبعدون إحياء الموتى بعد صيرورتها عظاماً رميمة، وثالثة يرفضون القرآن والدعوة النبوية ويصفونه بأنّه قول شاعر، أو ساحر، أو مجنون، أو مما علّمه بشر، أو هى من أساطير الاَوّلين.

وهذا الاختلاف دليل على بطلان ادّعائكم إذ لا تعتمدون على دليل خاص،

۱ ـ الصافات:۶.

( ۸۵ )

فانّ تناقض المدعى فى كلامه أقوى دليل على بطلانه ونفاقه.

ثمّ إنّه سبحانه يقول: إنّ الاِعراض عن الاِيمان بالمعاد ليس أمراً مختصاً بشخص أو بطائفة، بل هو شيمة كل مخالف للحق، يقول: (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِك)(۱).

والافك: الصرف، والضمير فى «عنه» يرجع إلى الكتاب من حيث اشتماله على وعد البأس والجزاء أى يصرف عن القرآن من صرف وخالف الحق.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه: فقد ظهر مما ذكرنا، لما عرفت من أنّمعنى الحبك هو الطرائق المختلفة المتنوعة، فناسب أن يحلف به سبحانه على اختلافهم وتشتت آرائهم فى إنكارهم نبوّة النبى ورسالته والكتاب الذى أنزل معه والمعاد الذى يدعو إليه.

۱ ـ الذاريات:۹.

## القسم الثانى: القسم المتعدّد

### الفصل الاَوّل

الفصل الأوّل القسم فى سورة الصافات حلف سبحانه بالملائكة فى السور الأربع التالية:

١. الصافات، ٢. الذاريات، ٣. المرسلات، ۴. النازعات.

وليس المقسم به هو لفظ الملك أو الملائكة، وإنّما هو الصفات البارزة للملائكة وأفعالها، وإليك الآيات:

١. (وَالصّافاتِ صَفّاً * فَالزّاجراتِ زَجْراً * فَالتّالياتِ ذِكراً *إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحد).(١)

٢. (والذّارِياتِ ذَرْواً * فَالحامِلاتِ وِقْراً * فَالجارِياتِ يُسراً * فَالمُقَسِّماتِ أَمْراً * إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادق * وَانَّ الدِّين لواقع) . (٢)

٣. (وَالْمُرسَلات عُرفاً * فَالعاصِفاتِ عَصْفاً * وَالنّاشراتِ نَشْراً * فالفارِقات فَرقاً * فالمُلقِياتِ ذِكراً * عُذراً أو نُذراً * إنّما تُوعَدُونَ لَواقِع) . (٣)

_____

١ ـ الصافات:١ـ۴

٢ ـ الذاريات:١ـ۶.

٣ ـ المرسلات:١ـ٧.



۴. (وَالنّازِعاتِ غَرْقاً * وَالنّاشِطاتِ نَشْطاً * وَالسّابِحاتِ سَبْحاً * فَالسّابِقاتِ سَبْقاً * فَالمُدَبِّراتِ أَمْراً * يَوْمَ تَرجُف الراجِفَة * تَتْبَعُها الرّادِفَة) . (١)

وهانحن نبحث عن أقسام سورة الصافات والذاريات فى فصلين متتالين ونحيل بحث أقسام سورة المرسلات والنازعات إلى محلها حسب ترتيب السور.

وقبل الخوض فى تفسير الآيات نقدم شيئاً من التوحيد فى التدبير:

إنّ من مراتب التوحيد فى الربوبية والتدبير، بمعنى أنّه ليس للعالم مدبّر سواه، يقول سبحانه: (إِنَّ رَبّكُمُ اللّهُ الّذِى خَلَق السَّمواتِ وَالأَرضَ فى سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استَوى عَلى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاّمِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرون) . (٢)

فصدر الآية يركّز على حصر الخالق فى اللّه، كما يركز على أنّه هو المدبّر، وانّه لو كان هناك سبب فى العالم «شفيع» فإنّما هو يؤثر بإذنه سبحانه، فاللّه هو الخالق وهوالمدبّر، قال سبحانه: (اللّهُ الّذى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ وَسَخَّرَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجرِى لأَجَلٍ مُسمّى يُدبِّرُ الأَمْرَ يُفصِّلُ الآيات لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِرَبِّكُمْ تُوقِنُون) . (٣)

ويظهر من الآيات الكريمة أنّالعرب فى العصر الجاهلى كانوا موحّدين فى الخالقية ولكن مشركين فى الربوبية والتدبير، وكانوا ينسبون التدبير إلى الآلهة المكذوبة، ولذلك قرر سبحانه فى الآيتين كلتا المرتبتين من التوحيد، وانّه خالق، وانّه مدبر، غير أنّمعنى التدبير فى التوحيد ليس عزل العلل والأسباب المادية

_____

١ ـ النازعات:١ـ٧.

٢ ـ يونس:٣.

٣ ـ الرعد:٢.



والمجردة فى تحقّق العالم وتدبيره، بل المراد انّ للكون مدبراً قائماً بالذات متصرفاًكذلك لا يشاركه فى التدبير شىء، ولو كان هناك مدبر وحافظ فإنّما هو يدبر بأمره وإذنه، فعندما يُحصر القرآن الكريم التدبير فى اللّه يريد التدبير على وجه الاستقلال، أى من يدبّر بنفسه غير معتمد على شىء، وأمّا المثبت لتدبير غيره، فالمراد منه أنّه يدبّر بأمره وإذنه وحوله وقوته على النحو التبعى، فكلّمدبِّر فى الكون فهو مَظْهر أمره ومُنفِّذ إرادته،وقد أوضحنا ذلك فى الجزء الأوّل من مفاهيم القرآن.

ويظهر من غير واحد من الآيات أنّ الملائكة من جنوده سبحانه وانّها وسائط بين الخالق والعالم، وانّهم يقومون ببعض الاَعمال فى الكون بأمر من اللّه سبحانه، وستتضح لك أعمالهم فى إدارة الكون فى تفسير هذه الآية.

إنّ للعلاّمة الطباطبائى كلاماً فى كون الملائكة وسائط بينه سبحانه و بين الاَشياء، حيث يقول: الملائكة وسائط بينه تعالى و بين الاَشياء بدءاً وعوداً، على ما يعطيه القرآن الكريم، بمعنى انّهم أسباب للحوادث فوق المادية فى العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الآخرة وبعده.

أمّا فى العود، أعنى: حال ظهور آيات الموت، وقبض الروح، وإجراء السوَال، وثواب القبر وعذابه، وإماتة الكل بنفخ الصور وإحيائهم بذلك، والحشر وإعطاء الكتاب، ووضع الموازين، والحساب، والسوق إلى الجنةوالنار، فوساطتهم فيها غنى عن البيان، والآيات الدالة على ذلك كثيرة لا حاجة إلى إيرادها، والاَخبار المأثورة فيها عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فوق حد الإحصاء.

وكذا وساطتهم فى مرحلة التشريع من النزول بالوحى ودفع الشياطين عن

( ۸۹ )

المداخلة فيه وتسديد النبى وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار.

وأمّا وساطتهم فى تدبير الاُمور فى هذه النشأة فيدل عليها ما فى مفتتح هذه السورة من إطلاق قوله: (والنازِعاتِ غَرقاً * وَالناشِطاتِ نَشطاً * وَالسّابِحاتِ سَبحاً * فَالسابِقاتِ سَبْقاً * فَالمُدبِّراتِ أَمْراً) . (۱) الصافات والقسم بالملائكة لقد حلف سبحانه بوصف من أوصاف الملائكة، وقال:

أ: (وَالصّافاتِ صَفّاً) .

ب:(فَالزّاجِراتِ زَجْراً) .

ج: (فالتّاليات ذِكراً * إِنَّ إلهَكُم لواحِد) . (۲)

وكل هذه الثلاثة مقسم به، والمقسم عليه هو قوله: ( إِنَّ إلهكم لواحد) وإليك تفسير المقسم به فيها.

فالصافات: جمع صافّة: وهى من الصف بمعنى جعل الشىء على خط مستو، يقول سبحانه: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّالَّذِينَ يُقاتِلُونَ فى سَبِيلِهِ صَفّا) (۳) والزاجرات من الزجر، بمعنى الصرف عن الشىء بالتخفيف والنهى، والتاليات من التلاوة، وهى جمع تال أو تالية، غير أنّ المهم بيان ما هو المقصود من هذه العناوين، ولعل الرجوع إلى القرآن الكريم يزيح الغموض عن كثير منها.

يقول سبحانه: حاكياًعن الملائكة: (وَما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُوم * وَإِنّا لَنَحْنُ

---

۱ ـ الميزان: ۲۰|۱۸۲ـ ۱۸۳.

۲ ـ الصافات: ۱ـ۴.

۳ ـ الصف: ۴.

( ۹۰ )

الصّافُّون * وَإِنّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُون) (۱) فينطبق على الملائكة أنّهم الصافّون حول العرش ينتظرون الاَمر والنهى من قبل اللّه تعالى.

نعم وصف سبحانه الطير بالصافات، وقال: (وَالطَّيرَ صافّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُوَتَسبِيحَهُ) . (۲)

وقال: (أَوَ لَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ صافّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) (۳) كما أمر سبحانه على أن ينحر البدن وهى صواف، قال سبحانه: (وَالبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ لَكُمْ فِيها خَيرٌ فاذْكُرُوا اسمَ اللّهِ عَلَيْها صَوَافّ). (۴)

والمعنى: ان تعقل إحدى يديها وتقوم على ثلاث فتنحر كذلك فيسوى بين أظلفتها لئلاّ يتقدم بعضها على بعض.

وعلى كلّ تقدير فمن المحتمل أن يكون المحلوف به هو الملائكة صافات، ويمكن أن يكون المحلوف به كلّ ما أطلق عليه القرآن ذلك الاسم، وإن كان الوجه الاَوّل هو الاَقرب.

وأمّا الثانية: أى الزاجرات: فليس فى القرآن ما يدل على المقصود به، فلا محيص من القول بأنّ المراد الجماعة الذين يزجرون عن معاصى اللّه، ويحتمل أن ينطبق على الملائكة حيث يزجرون العباد عن المعاصى بالاِلهام إلى قلوب الناس، قال سبحانه: (وَما اُ نْزِلَ عَلى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ) (۵)كما أنّالشياطين يوحون إلى أوليائهم

---

۱ ـ الصافات:۱۶۴ـ ۱۶۶.

۲ ـ النور:۴۱.

۳ ـ الملك:۱۹.

۴ ـ الحج:۳۶.

۵ ـ البقرة:۱۰۲.



بالدعوة إلى المعاصى، قال سبحانه: (وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّعَدُوّاً شَياطِينَ الاِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلى بعضٍ زُخْرُفَ الْقَولِغُرُوراً). (۱)

والتاليات: هن اللواتى يتلون الوحى على النبى الموحى إليه.

فالمراد من الجميع الملائكة، وثمة احتمال آخر وهو انّ المراد من الصفات الثلاث هم العلماء، فانّهم هم الجماعة الصافة أقدامها بالتهجد وسائر الصلوات، وهم الجماعة الزاجرة بالمواعظ والنصائح، كما أنّهم الجماعة التالية لآيات اللّه والدارسة شرائعه.

كما أنّ ثمة احتمالاً ثالثاً وهو: انّالمراد هم الغزاة فى سبيل اللّه الذين يصفّون أقدامهم، ويزجرون الخيل إلى الجهاد، ويتلون الذكر، ومع ذلك لا يشغلهم تلك الشواغل عن الجهاد.

وأمّا المقسم عليه: فهو قوله سبحانه: (إِنَّ إِلهكم لَواحد) .

والصلة بين المقسم به والمقسم عليه: هو أنّالملائكة أو العلماء أو المجاهدين الذين وصفوا بصفات ثلاث هم دعاة التوحيد وروّاده وأبرز مصاديق من دعا إلى التوحيد على وجه الاِطلاق وفى العبادة خاصة.

---

۱ ـ الاَنعام:۱۱۲.



## الفصل الثانى

الفصل الثانى القسم فى سورة الذاريات

لقد حلف سبحانه بأُمور أربعة متتابعة وقال:

(وَالذّارِياتِ ذَرْواً) .

(فَالحامِلاتِ وِقْراً) .

(فَالجارِياتِ يُسْراً) .

(فَالمُقسِّمات أمراً * إِنّما تُوعدونَ لصادِقٌ * وإِنَّ الدِّينَ لَواقِع). (۱)

ثمّ حلف بخامس فرداً أى قوله: (وَالسَّماءِ ذاتِ الحُبُك) .

أمّا الاَوّل أعنى : (والـذارِيات ذَرواً) فهى جمع ذاريـة، ومعناها الريح التى تُنشـر شـيئاً فى الفضاء، يقول سـبحانه: (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُالاَرضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذرُوهُالرِّياح) . (۲) ولعلّهذه قرينة على أنّ المراد من الذاريات هى الرياح.

وأمّا الحاملات، فهى، من الحمل، والوقر ـ على زنة الفكر ـ ذو الوزن الثقيل.

والمراد منه السـحب، يقول سـبحانه: (هُوَ الَّذى يُريكُمُ البَرقَ خَوفاً وَطَمَعاً وَيُنشـئُ السَّحابَ الثِّقال) (۳) وقـال سـبحانه: (حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ

---

۱ ـ الذاريات:۱ـ۶.

۲ ـ الكهف: ۴۵.

۳ ـ الرعد:۱۲.

( ۹۳ )

مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الماء) . (۱)

وأمّا الجاريات، فهى جمع جارية، والمراد بها السفن، بشهادة قوله سبحانه: (حَتّى إِذا كُنْتُمْ فى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَة) (۲) وقال: (وَالفُلْكِ الّتى تَجْرى فِى البَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاس) (۳) وقال سبحانه:(إِنّا لَمّا طَغا الماءُ حَمَلْناكُمْ فى الجارِيَة).(۴)

وأمّا المقسِّمات، فالمراد الملائكة التى تقسم الاَرزاق بواسطتها التى ينتهى إليه التقسيم.

يقول العلاّمـة الطباطبـائى: وإقسـام بالملائكـة الـذين يعملون بـأمره فيقسـمونه باختلاـف مقاماتهم، فانّ أمر ذى العرش بالخلق والتـدبير واحد، فإذا حمله طائفة من الملائكة على اختلاف أعمالهم انشـعب الاَمر وتقسم بتقسـمهم، ثمّ إذا حمله طائفة هى دون الطائفة الاُولى تقسم ثانياً بتقسمهم وهكذا، حتى ينتهى إلى الملائكة المباشرين للحوادث الكونية الجزئية فينقسم بانقسامها ويتكثر بتكثرها.

والآيات الاَربع تشير إلى عامـة التـدبير حيث ذكرت انموذجاً ممّا يـدبّر به الاَمر فى البر وهو الذاريات ذرواً، وانموذجاًممّا يدبّر به الاَمر فى البحر وهو الجاريـات يسـراً، وانموذجـاً ممّـا يـدبّر به الاَمر فى الجو وهو الحاملات وقراً، وتمم الجميع بالملائكـة الـذين هم وسائط التدبير، وهم المقسّمات أمراً.

فالآيات فى معنى أن يقال: أُقسم بعامة الاَسباب التى يتمم بها أمر التدبير فى

---

۱ ـ الاَعراف:۵۷.

۲ ـ يونس:۲۲.

۳ ـ البقرة:۱۶۴.

۴ ـ الحاقة:۱۱.

( ۹۴ )

العالم ان كذا كذا، وقد ورد من طرق الخاصة والعامة عن على (عليه السلام) تفسير الآيات الاَربع. (۱)

وبـذلك يعلم قيمة ما روى عن الاِمام أمير المؤمنين (عليه السـلام) فى تفسـير الآية عندما سأله ابن الكوا عن هذه الاَقسام الاَربعة ـ وهو يخطب على المنبر ـ فقال:

قال: ما الذاريات ذرواً؟قال (عليه السلام) : الرياح.

قال: فالحاملات وقراً؟ قال (عليه السلام) : السحاب.

قال: فالجاريات يسراً؟ قال: السفن.

قال: فالمقسّمات أمراً ؟ قال: الملائكة.

ثمّ إنّه سبحانه حلف بالذاريات بواو القسم، وحلف بالثلاثة بعطفها على الذاريات بالفاء فيحمل المعطوف معنى القسم أيضاً.

هذا كلّه حول المقسم به.

وأمّا المقسم عليه: هو قوله: (إِنّما تُوعَدُونَ لَصادِق * وَإِنَّ الدِّين لواقع) أى إنّما توعدون من الثواب و العقاب والجنة والنار لصادق، أى صدق لابدّ من كونه فهو اسم الفاعل، موضع المصدر، وانّ الدين أى الجزاء لواقع والحساب لكائن يوم القيامة.

وعلى ذلك (إِنَّما تُوعَدونَ لَصادق) جواب القسم، وقوله: (انّ الدين لواقع) معطوف عليه بمنزلة التفسير، والمعنى أقسم بكذا وكذا، انّالذى توعدونه من يوم البعث وانّ اللّه سيجزيهم فيه بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر لصادق وانّ الجزاء لواقع. (۲)

---

۱ ـ الميزان:۱۸|۳۶۵.

۲ ـ الميزان:۱۸|۳۶۶.



وأمّا وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه هو انّه سبحانه أقسم بعامة الأسباب التى يتم بها أمر التدبير فى العالم، لغاية أنّ هذا التدبير ليس سدى وبلا غاية، والغاية هى يوم الدين والجزاء وعود الإنسان إلى المعاد، إذ لولا الغاية لأصبح تدبير الأمر فى البر والبحر والجو وتدبير الملائكة شيئاً عبثاً بلا غاية، فهو سبحانه يحاول أن يبين أنّما يقوم به من أمر التدبير لغاية البعث وانتقال الإنسان من هذه الدار إلى دار أُخرى هو أكمل.

وفى ختام البحث نود أن ننقل شيئاً عن عظمة الرياح والسحاب والتى كشف عنها العلم الحديث.

فالرياح هى حركة الهواء الموجود فى الطبقات السفلى من الجو، إذا سارت متوازية مع سطح الأرض، وتختلف سرعة الرياح حتى تصل إلى مائة كيلومتر فى الساعة فتسمى زوبعة، وإذا زادت على مائة سمّيت إعصاراً، وقد تصل سرعة الأعصار إلى ۲۴۰ كيلومتراً فى الساعة، والرياح هى العامل المهم فى نقل بخار الماء وتوزيعه، ومن تكاثف هذا البخار فى الهواء بالتبريد،بعد أن تصل حالته إلى ما فوق التشبع تتكون السحب. ويختلف ارتفاع السحب على حسب نوعها،فمنها ما يكون على سطح الأرض كالضباب، ومنها ما يكون ارتفاعه بعيداًإلى أكثر من ۱۲ كيلومتراً. كسحاب السيرس الرقيق.

وعندما تكون سرعة الرياح الصاعدة أكثر من ثلاثين كيلومتراً فى الساعة، لا يمكن نزول قطرات المطر المتكون، وذلك بالنسبة لمقاومة هذا الريح لها،ورفعها معه إلى أعلى، حيث ينموحجمها، ويزداد قطرها. ومتى بلغت أقطار النقط نصف سنتيمتر، تتناثر إلى نقط صغيرة لا تلبث أن تكبر بدورها، ثمّ تتجزأ بالطريقة السابقة وهكذا... وكلما تناثرت هذه النقط، تشحن بالكهرباء الموجبة وتنفصل الكهرباء



السالبة التى تحمل الرياح...وبعد مدة تصير السحب مشحونة شحناً وافراً بالكهرباء. فعندما تقترب الشحنتان بعضهما من بعض بواسطة الرياح كذلك يتم التفريغ الكهربائى وذلك بمرور شرارة بينهما،ويستغرق وميض البرق لحظة قصيرة وبعده يسمع الرعد، و هو عبارة عن الموجات الصوتية التى يحدثها الهواء،وما هى إلّابرهة حتى تخيّم على السماء سحابة المطر القاتمة اللون، ثمّ تظهر نقط كبيرة من الماء تسقط على الأرض، وفجأة يشتد المطر ويستمر حتى تأخذ الأرض ما قدر اللّه لها من الماء. (۱)

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث:۱۳۵ـ ۱۳۶.

( ۹۷ )

## الفصل الثالث

الفصل الثالث القسم فى سورة الطور

حلف سبحانه فى سورة الطور بأُمور ستة، وقال:

(وَالطُّور * وَكِتابٍ مَسْطُور * فى رقٍّ مَنْشُور *وَالْبَيتِ المَعْمُور * وَالسَّقْفِ المَرْفُوع * وَالْبَحْرِ المَسْجُور * إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِع * ما لَهُ مِنْ دافِع) . (۱)

تفسير الآيات

الطور: اسم جبل خاص، بل اسم لكلّ جبل، ولو قلنا بصحّة الإطلاق الثانى، فالمراد الجبل المخصوص بهذه التسمية لا كلّ جبل بشهادة كونه مقروناً بالألف واللام.

ومسطور: من السطر وهو الصف من الكتابة، يقال: سطَّر فلان كذا، أى كتب سطراً سطراً.

والظاهر انّ المراد من «مسطور» هنا هو المثبت بالكتابة، قال سبحانه (كانَذلِكَ فى الكِتابِمَسْطُوراً) ( أى مثبتاً ومحفوظاً).

و رقّ: ما يكتب فيه شبه الكاغد_____.

۱ ـ الطور:۱ـ ۸.

( ۹۸ )

ومنشور: من النشر، وهو البسط والتفريق، يقال: نشر الثوب والصحيفة وبسطهما، يقال: (وَإِذا الصُّحُف نُشرت) وقال سبحانه: (وَإِلَيْهِ النُّشور ) .

والمسجور: من السجر وهى تهييج النار، يقال: سجرت التنور، ومنه البحر المسجور، وقوله: (وإِذَا البِحارُ سُجِّرت) وربما يفسر المسجور بالمملوء.

والمراد من الطور ـ كما تشهد به القرائن ـ: هو الجبل المعروف الذى كلّم اللّه فيه موسى (عليه السلام) ، ولعلّه هو جبل طور سينين، قال سبحانه: (وَطُورِ سِينِين) . (۱) وقال سبحانه: (وَنادَيْناهُمِنْ جانِبِالطُّورِالأَيْمَن) (۲) وقال فى خطابه لموسى (عليه السلام) : (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالواد المُقدَّس طُوىً) . (۳)

وقال سبحانه: (نُودى مِنْ شاطئِ الوادِ الأَيْمَنِ فِى البُقْعَةِ المُبارَكةِ مِنَ الشَّجَرة) . (۴) حكى وهذه الآيات تثبت انّ المقسم به جبل معين، ومع الوصف يحتمل أن يراد مطلق الجبل لما اودع فيه من أنواع نعمه، قال تعالى: (وَجَعَلَ فِيها رَواسِىَ مِنْ فَوقِها وَبارَكَ فِيها) . (۵)

والمراد من كتاب مسطور: هو القرآن الكريم الذى كان يكتب فى الورق المأخوذ من الجلد.

وأمّا وصفه بكونه منشوراً مع أنّ عظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه وورقه، هو الإشارة إلى الوضوح، لأنّ الكتاب المطوى لا يعلم ما فيه، فقال هو فى

---

۱ ـ التين:۲.

۲ ـ مريم:۵۲.

۳ ـ طه:۱۲.

۴ ـ القصص:۳۰.

۵ ـ فصلت:۱۰.

( ۹۹ )

رق منشور وليس كالكتب المطوية، ومع ذلك يحتمل أن يراد منه صحائف الاَعمال، وقد وصفه سبحانه بكونه منشوراً، وقال: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنْشُوراً) (۱) كما يحتمل أن يراد منه اللوح المحفوظ الذى كتب اللّه فيه ما كان وما يكون و ما هو كائن تقرأه ملائكة السماء.

وهناك احتمال رابع،وهو انّ المراد هو التوراة، وكانت تكتب بالرق وتنشر للقراءة، ويؤيده اقترانه بالحلف بالطور.

وامّا البيت المعمور: فيحتمل أن يراد منه الكعبة المشرفة، فانّها أوّل بيت وضع للناس، ولم يزل معموراً منذ أن وضع إلى يومنا هذا، قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذى بِبَكَّةَ مُباركاً وَهُدى لِلْعالَمين) . (۲)

ولعل وصفه بالعمارة لكونه معموراً بالحجاج الطائفين به والعاكفين حوله.

وقد فسر فى الروايات ببيت فى السماء إزاء الكعبة تزوره الملائكة، فوصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به.

والسقف المرفوع: والمراد منه هو السماء، قال سبحانه: (والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزان ). (۳)

وقال: (اللّهُالّذى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَونَها) . (۴)

قال سبحانه: (وَجَعَلْنَا السَّماءَسَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعرِضُون) (۵)

ولعلّ المراد هو البحر المحيط بالاَرض الذى سيلتهب قبل يوم القيامة ثمّ ينفجر،

---

۱ ـ الإسراء:۱۳.

۲ ـ آل عمران:۹۶.

۳ ـ الرحمن:۷.

۴ ـ الرعد:۲.

۵ ـ الاَنبياء:۳۲.

( ۱۰۰ )

قال سبحانه: (وَإِذَا البِحارُ سُجِّرَت(۱)) ،وقال تعالى: (وَإِذَا البِحارُ فُجِّرَت) . (۲)

ثمّ إنّ هذه الاَقسام الثلاثة الاُولى يجمعها شىء واحد وهو صلتها بالوحى وخصوصياته،حيث إنّ الطور هو محل نزول الوحى، والكتاب المسطور هو القرآن أو التوراة، والبيت المعمور هو الكعبة أو البيت الذى يطوف به الملائكة الذين هم رسل اللّه.

وأمّا الاثنان الآخران، أعنى: السقف المرفوع والبحر المسجور، فهما من الآيات الكونية ومن دلائل توحيده ووجوده وصفاته.

لكن الرازى ذهب إلى أنّالاَقسام الثلاثة التى بينها صلة خاصة، هى الطور والبيت المعمور والبحر المسجور ،وإنّما جمعها فى الحلف بها لاَنّها أماكن لثلاثة أنبياء ينفردون بها للخلوة بربهم والخلاص من الخلق والخطاب مع اللّه. أمّا الطور فانتقل إليه موسى، والبيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والبحر المسجور يونس (عليه السلام) ، وكل خاطب اللّه هناك، فقال موسى: (أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُمِنّا إِنْ هِىَ إِلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشاء) (۳) وقال أيضاً: ( أرنى أنظر إليك) ، واما نبيّنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال: «السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين لا أحصى ثناء عليك كما أثنيت على نفسك»، وأمّا يونس فقال: (لاإِلهَ إِلاّأَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظّالِمين)(۴) فصارت الاَماكن شريفة بهذه الاَسباب وحلف اللّه تعالى بها_____.

۱ ـ التكوير:۶.

۲ ـ الانفطار:۳.

۳ ـ الاَعراف:۱۵۵.

۴ ـ الأَنبياء:۸۷.

( ۱۰۱ )

وأمّا ذكر الكتاب، فانّ الأَنبياء كان لهم فى هذه الأَماكن مع اللّه تعالى كلام، والكلام فى الكتاب واقترانه بالطور أدلّ دليل على ذلك، لأَنّ موسى (عليه السلام) كان له مكتوب ينزل عليه وهوبطور.

وأمّا ذكر السقف المرفوع ومعه البيت المعمور ليعلم عظمة شأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). (۱)

وأمّا المقسم عليه فهو قوله: (إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِع * ما لَهُ مِنْ دافِع) . (۲)

وأمّا وجه الصلة بين المقسم به على تعدّده والمقسم عليه، هو انّ المقسم عليه عبارة عن وقوع العذاب لا محالة وعدم القدرة على دفعه، فإذاً ناسب أن يقسم بالكتاب أى القرآن والتوراة اللّذين جاء فيهما أخبار القيامة وحتميتها.

كما ناسب أن يحلف بمظاهر القدرة وآيات العظمة كالسقف المرفوع والبحر المسجور حتى يعلم أنّصاحب هذه القدرة لقادر على تحقيق هذا الخبر،وهو عبارة عن أنّ عذابه لواقع وليس له دافع.

ويكفيك فى بيان عظمة البحار أنّها تشغل حيّزاً كبيراً من سطح الأَرض يبلغ نحو ثلاثة أرباعه، وتختلف صفات الماء عن الأَرض، بسهولة تدفقه من جهة إلى أُخرى، حاملاً الدفء أو البرودة، وله قوة انعكاس جيدة لشعاع الشمس، ولذا فانّ درجة حرارة البحار لا ترتفع كثيراً أثناءالنهار، ولا تنخفض بسرعة أثناء الليل فلا تختلف درجة الحرارة أثناء الليل عن النهار بأكثر من درجتين فقط.

ويقول أحد العلماء: إنّ البحر يبارى الزمان فى دوامه، ويطاول الخلود فى

---

۱ ـ تفسير الفخر الرازى:۲۸| ۲۴۰.

۲ ـ الطور:۷ـ ۸.

( ۱۰۲ )

بقائه، تمر آلاف الأَعوام بل وعشرات الأُلوف والملايين،وهو فى يومه هو أمسه وغده،تنقلب الجبال أوديةً،والأَوديةً جبالاً، ويتحول التراب شجراً،والشجر تراباً، والبحر بحر لا يتحول ولا يتغير، وقد دلت الأَبحاث العلمية انّ أقصى أعماق البحار تعادل أقصى علو الجبال. (۱)

كما ناسب أن يحلف بالطور، لأَنّ بعض المجرمين كانوا يتصورون انّ الجبال الشاهقة ستدفع عنهم عذاب اللّه، كما قال ابن نوح (عليه السلام) سَآوى إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى مِنَ الماء) قال: (لا عاصِمَ اليَوم مِنْ أَمْرِ اللّه إِلّامَنْ رَحِمَ ) (۲)

فحلف بالطور إيذاناً إلى هذه الحقيقة، وهى أنّهذه الجبال أقلّ من أن تدفع العذاب أو تحول بين اللّه ووقوع المعاد.

كما يمكن أن يكون الحلف بالطور لأَجل كونه آية من آيات اللّه الدالة على قدرته التى لا تحول بينه و بين عذابه شىء.

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث: ۷۵.

۲ ـ هود:۴۳.

## الفصل الرابع

الفصل الرابع القسم فى سورة القلم

حلف سبحانه بالقلم ومايسطرون معاً مرّة واحدة، وقال: (ن والقَلَمِ وَما يَسْطُرُون *ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون *وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُون *وَإِنَّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظيم) . (۱)

وقبل تفسير الآيات نقدّم شيئاً وهو أنّ لفظة «ن» من الحروف المقطعة وقد تقدم تفسيرها.

وهناك وجوه أُخرى نذكرها تباعاً:

أ: «ن» هو السمكةالتى جاء ذكرها فى قصة يونس ( (عليه السلام) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً) . (٢)

ب: انّ المراد به هو الدواة،و منه قول الشاعر:

إذا ما الشوق يرجع بى اليهم ألقت النون بالدمع السجوم ج:انّ «ن» هو المداد الذى تكتب به الملائكة.

ولكن هذه الوجوه ضعيفة، لَانّ الظاهر منها أنّها مقسم به، وعندئذٍ يجب أن يجرّ لا أن يسكّن_____.

١ ـ القلم:١ـ ۴.

٢ ـ الأَنبياء:٨٧.



يقول الزمخشرى: وأمّا قولهم هو الدواة، فما أدرى أهو وضع لغوى أم شرعى؟ ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة، من أن يكون جنساً أو علماً، فإن كان جنساً فأين الإِعراب والتنوين؟ وإن كان علماً فأين الاعراب؟ وأيّهما كان فلابدّ له من موقع فى تأليف الكلام. (١)

وبذلك يعلم وجه تجريد «ن» عن اللّام واقتران القلم بها. تفسير الآيات ١. حلف سبحانه بالقلم، وقال: (والقلم ومايسطرون) وهل المراد منه جنس القلم الذى يكتب به من فى السماء ومن فى الأَرض، قال تعالى: (وَرَبُّكَ الأَكْرَم * الَّذى عَلَّمَ بِالقَلَم * عَلَّمَ الإِنْسانَ مالَمْ يَعْلَم) . (٢) فمنّ سبحانه وتعالى بتيسير الكتابة بالقلم،كما منَّ بالنطق، وقال: (خَلَقَالإِنْسان * عَلَّمَهُ البَيان) . (٣)

فالقلم والبيان نعمتان كبيرتان، فبالبيان يخاطب الحاضرين، كما أنّه بالقلم يخاطب الغائبين فتمكن بهما تعريف القريب والبعيد بما فى قرارة ذهنه.

وربما قيل: إنّ المراد هو القلم المعهود الذى جاء فى الخبر: «إنّأوّل ما خلق اللّه هو القلم» ولكنّه تفسير بعيد عن أذهان المخاطبين فى صدر الإِسلام الذين لم يكونوا عارفين بأوّل ما خلق اللّه ولا بآخره.

ثمّ إنّه سبحانه حلف بـ (ما يسطرون) ، فلو كانت «ما» مصدرية يكون المراد «وسطرهم» فيكون القسم بنفس الكتابة، كما يحتمل أن يكون المراد

---

١ ـ الكشاف:۴|١٢۶، تفسير سورة القلم .

٢ ـ العلق: ٣ ـ ۵.

٣ ـ الرحمن: ٣ ـ ۴.



المسطور والمكتوب، وعلى ذلك حلف سبحانه بجنس القلم وبجنس الكتابة، أو بجنس المكتوب، كأنّه قيل: «أحلف بالقلم وسطرهم أو مسطوراتهم».

ثمّ إنّ فى الحلف بالقلم والكتابة والمكتوب إلماعاً إلى مكانة القلم والكتابة فى الإِسلام، كما أنّ فى قوله سبحانه: (علّم بالْقَلم) إشارة إلى ذلك، والعجب أنّ القرآن الكريم نزل وسط مجتمع ساده التخلّف والجهل والأُميّة، وكان من يجيد القراءة والكتابة فى العصر الجاهلى لا يتجاوز عدد الأَصابع، وقد سرد البلاذرى فى كتابه «فتوح البلدان» أسماء سبعة عشر رجلًا فى مكة، وأحد عشر من يثرب.(١)

وهذا ابن خلدون يحكى فى مقدمته: أنّ عهد قريش بالكتابة لم يكن بعيداً، بل كان حديثاً وقريباً بعهد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم). (٢) ومع ذلك يعود القرآن ليؤكد بالحلف بالقلم على مكانة القلم والكتابة فى الحضارة الإِسلامية، وجعل فى ظل هذا التعليم

أمـة متحضـرة احتلّت مكانتها بين الحضارات. وليس هذه الآية وحيد نسـجها فى الدعوة إلى القلم والكتابة بل ثمة آية أخرى هى أكبر آية فى الكتاب العزيز، يقول سبحانه: (يا أَيُّهَا الَّذينَآمنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍمُسمّىً فَاكْتُبوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْيَكْتُبَ كَما عَلَّمهُ اللّهُ فَلْيَكْتُب...) . (۳)

كما أنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حثّعلى كتابة حديثه الذى هو المصدر الثانى بعد القرآن الكريم:

۱. أخرج أبو داود فى سننه، عن عبد اللّه بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ

---

۱ ـ فتوح البلدان : ۴۵۷ .

۲ ـ مقدمة ابن خلدون:۴۱۸.

۳ ـ البقرة:۲۸۲.



شىء أسـمعه من رسول اللّه (صـلى الله عليه وآله وسـلم)، أريد حفظه فنهتنى قريش، وقالوا: أتكتب كلّشـىء تسمعه ورسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسـلم) بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فأومأ باصبعه إلى فيه، وقال :« اكتب، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلّاحقّاً». (۱)

۲. أخرج الترمذى فى سـننه عن أبى هريرة، قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فيسـمع من النبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم» الحـديث فيعجبه ولا يحفظه، فشـكا ذلك إلى النبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم» ، فقال: يا رسول اللّه إنّى أسمع منك الحديث فيعجبنى ولا أحفظه، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «استعن بيمينك» وأومأ بيده للخط. (۲)

۳. أخرج الخطيب البغـدادى عن رافع بن خديـج، قـال: مرّعلينا رسول اللّه (صـلى الله عليه وآله وسـلم) يوماً، ونحن نتحـدّث، فقال: «ما تحدّثون؟»

فقلنا: نتحدّث عنك يا رسول اللّه .

قال: «تحدّثوا، وليتبوّأ من كذّب علىّ مقعداً من جهنم».

ومضى (صلى الله عليه وآله وسلم) بحاجته،ونكس القوم روَوسهم...فقال:«ما شأنكم؟ ألا تحدّثون؟».

قالوا: الذى سمعنا منك، يا رسول اللّه.

قال: «إنّى لم أرد ذلك، إنّما أردت من تعمّد ذلك» قال: فتحدثنا.

قال: قلت:يا رسول اللّه: إنّا نسمع منك أشياء، فنكتبها_____.

۱ ـ سـنن أبى داود:۳|۳۱۸، برقم ۳۶۴۶، باب فى كتابـة العلم؛ مسـند أحمد:۲|۱۶۲؛سنن الدارمى:۱|۱۲۵، بـاب من رخص فى كتـابة العلم.

۲ ـ سنن الترمذى: ۵|۳۹، برقم ۲۶۶۶.



قال: «اكتبوا ولا حرج». (۱)

وبعـد هـذه الأهميـة البالغة التى أولاها الكتاب العزيز والنبيللكتابة، أفهل من المعقول أن ينسب إليه انّه منع من كتابة الحديث؟! مع أنّها أحاديث آحاد تضاد الكتاب العزيز والسنّة والسيرة المتواترة ونجلُّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحيلولة دون كتابة السنّة.

هذا والكلام ذو شجون وقد أسهبنا البحث حوله فى كتاب «الحديث النبوى بين الرواية والدراية». (۲)

هذا كلّه حول المقسم به.

وأمّا المقسم عليه: فقد جاء فى قوله سبحانه: (ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون) والمراد من النعمة النبوّة والإيمان، والباء للسببية أى لست أنت بسبب هذه النعمة بمجنون، رداً على من جعل نبوّته ونزول القرآن عليه دليلاً على جنونه، قال سبحانه: (وَإِنْ يَكادُ الَّذينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمّا سمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَما هُوَ إِلاّذِكْرٌ لِلْعالَمين) . (۳)

ويحتمل أن يكون المراد من النعمة كلّما تفضل عليه سبحانه من النعم وراء الإيمان والنبوّة كفصاحته وبلاغته وعقله الكامل وخلقه الممتاز، فانّ هذه الصفات تنافى حصول الجنون.

واحتمل الرازى أن يكون جملة (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) مقطوعة عمّا قبله و ما بعده، وانّ وزانها وزان بحمد اللّه فى الجمل التالية:

---

۱ ـ تقييد العلم: ۷۲و۷۳.

۲ ـ انظر صفحة ۱۲ـ ۳۲ من نفس الكتاب.

۳ ـ القلم:۵۱ـ ۵۲.



أنت ـ بحمد اللّه ـ عاقل.

أنت ـ بحمد اللّه ـ لست بمجنون.

أنت ـ بنعمة اللّه ـ فهيم.

أنت ـ بنعمة اللّه ـ لست بفقير.

وعلى هذا التقدير يكون معنى الآية «ما أنت ـ فى ظل نعمة ربّك ـ بمجنون.(۱)

وهناك احتمال ثالث وهو نفس هذا الاحتمال، وجعل الباء حرف القسم، وعلى ذلك يكون الحلف مقروناً بالدليل، وهو: انّ من أنعم اللّه عليه بهذه النعم الإلهية كيف يتهمونه بالجنون، مضافاً إلى أنّ لك فى الآخرة لَاجراً غير ممنون، كما قال سبحانه:(وَإِنَّ لَكَ لَاَجْراً غير مَمنون) والممنون مشتق من مادة «منّ» بمعنى القطع أى الجزاء المتواصل إلى الأبد.

ثمّ إنّه سبحانه يستدل بدليل آخر على نزاهته من هذه التهمة، وهى قوله سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعلى خُلقٍ عَظيم) فمن كان على خلق يعترف به القريب والبعيد فكيف يكون مجنوناً ؟!

فقد تجسَّم فى شخصية الرسول العطف والحنان إلى القريب والبعيد، والصبر والاستقامة فى طريق الهدف، والعفو عن المتجاوز بعد التمكن والقدرة، والتجافى عن الدنيا وغرورها، إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق، وبذلك ظهر انّ الحلف صار مقروناً بالدليل.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فهو انّالقلم والكتابة آية العقل

---

۱ ـ تفسير الفخر الرازى:۲۹|۷۹.



والدراية، فحلف به لغاية نفى الجنون عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

يقول المراغى: أقسم ربّنا بالقلم ومايسطر به من الكتب: انّمحمّداً الذى أنعم اللّه عليه بنعمة النبوّة ليس بمجنون كما تدّعون، وكيف يكون مجنوناً والكتب والأقلام أعدت لكتابة ما ينزل عليه من الوحى؟! (۱)

ونختم البحث بحديث رواه الشيخ يحيى البحرانى عن النبيفى كتابه «الشهاب فى الحكم والآداب»: قال:قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «ثلاثة تخرق الحجب وتنتهى إلى ما بين يدى اللّه:

۱. صرير أقلام العلماء.

۲. وطء أقدام المجاهدين.

۳. صوت مغازل المحسنات». (۲)

---

۱ ـ تفسير المراغى:۲۹|۲۷.

۲ ـ الشهاب فى الحكم والآداب:۲۲.

( ۱۱۰ )

## الفصل الخامس

الفصل الخامس القسم فى سورة الحاقة

حلف سبحانه بما يُبصر وبما لا يُبصر، قال سبحانه:(فَلا أُقْسِمُ بِما تُبصرون * وما لاتُبصِرُون * إِنَّهُلَقَولُ رَسولٍ كَريم * وَما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ قَليلاً ما تُؤْمِنُون * ولا بِقَولِ كاهِنٍ قَليلاً ما تَذَكَّرون * تنزيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمين). (۱) تفسير الآيات قوله: (بما تبصرون ومالا تبصرون) يعم ما سوى اللّه لاَنّه لا يخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر، فيشمل الدنيا والآخرة والاَجسام والاَرواح والاِنس والجن والنعم الظاهرة والباطنة، كما يشمل الخالق والمخلوق، فانّ الخالق داخل فى قوله: ومالا تبصرون، وعلى هذا الوجه فقد حلف سبحانه بعالم الوجود وصحيفته.

ولكن استبعده السيد الطباطبائى، قائلاً: بأنّه من البعيد من أدب القرآن أن يجمع الخالق والمخلوق فى صف واحد ويعظمه تعالى وما صنع تعظيماً مشتركاً فى عرض واحد. (۲)

ولكن يلاحظ عليه: بأنّه سبحانه ربّما جمع بين نفسه والرسول، وقال: (وَما

---

۱ ـ الحاقة:۳۸ـ ۴۳.

۲ ـ الميزان:۱۹|۴۰۳.

( ۱۱۱ )

نَقَمُوا إِلاّ أن أغناهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) (۱) وقوله سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون(۲))، إلى غير ذلك من الآيات فلاحظ.

وأمّا المراد من قوله: «لا » فقد سبق كلام المفسرين فى توجيهه،وقد اخترنا انّقوله: «لا » رد لكلام مسبوق أو مقدر، ثمّ يبتدأ بقوله أقسم.

لقد أقسم سبحانه بشىء يخص البصر دون سائر الحواس، وقال: (فلا أُقسم بِما تبصرون وما لا تبصرون) هو أقسم بما نبصر وما أقله، وأقسم بما لا نبصر وما أكثره وأعظم خطره. أقسم الحقُّ سبحانه هذا القسم العظيم بما له علاقة بالبصر ولم يُقسم بغيره مما هو محسوس، ذلك لاَنّه رغم كونه يعطينا أوسع إحساس وأبعده وأسرعه بما يحيط بنا فانّه رغم ذلك لا يصلنا منه إلاّ أقل القليل.

هذا كلّه حول المقسم به،وأمّا المقسم عليه، فهو قوله: (إِنَّهُلَقَولُ رَسُولٍ كَريم *وَما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ قَليلاً ما تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَولِ كاهِنٍ قَليلاً ما تَذَكَّرون * تنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمين) ، فالمقسم عليه مركب من أُمور إيجابية أعنى كونه :قول رسول كريم وانّه تنزيل من ربّ العالمين ، وسلبية وهو أنّ القرآن ليس بقول شاعر ولا كاهن.

إنّما الكلام فى ما هو المراد من قوله: (رسول كريم) ، وقد ذُكر هذا أيضاً فى سورة التكوير، قال سبحانه: (إِنَّهُ لَقولُ رَسُولٍ كَريم * ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرشِ مَكِين * مُطاعٍ ثَمَّ أَمين * وما صاحِبكُمْبِمَجْنُون *وَلَقد رَآهُ بِالاُفُقِ المُبين * وَما هُوَ عَلى الغَيْبِ بِضَنِين *وَما هُوَ بِقَولِ

شَيْطانٍ رَجِيم) (٣) ولا شكّ انّ المراد من

---

١ ـ التوبة:٧۴.

٢ ـ التوبة:١٠۵.

٣ ـ التكوير:١٩ـ ٢۵.

( ١١٢ )

رسول فى سورة التكوير هو أمين الوحى جبرئيل، بشهادة وصفه بقوله: (ذى قُوّةٍ عِنْدَ ذى الْعَرْشِمَكين) .

مضافاً إلى قوله: (وَلَقَدْرَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبين) فانّ الضمير يرجع إلى رسول كريم، كما أنّ قوله: (وَما هُوَ بِقَولِ شَيطانٍ رَجيم) معناه إنّما هو قول الملك، فانّ الشيطان يقابل الملك.

وأمّا المقام فيحتمل أن يراد منه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك لأنّه وصفه بقوله:لَيْسَ بِقَولِ شاعِرٍ وَلا كاهن والقوم كانوا يصفون محمداً بالشعر والكهانة ولا يصفون جبرئيل بهما.

والغرض المتوخّى من عزو القرآن إلى رسول كريم هو نفى كونه كلام شاعر أو كاهن، ولا ينافى ذلك أن يكون القرآن كلامه سبحانه، وفى الوقت نفسه كلام أمين الوحى وكلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، لصحّة الإضافة إلى الجميع، فالقرآن كلامه سبحانه لأنّه فعله، وهو الذى أنشأه، وكلام جبرئيل، لأنّه هو الذى أنزله من جانبه سبحانه على قلب سيد المرسلين، وفى الوقت نفسه كلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه أظهره وبيّنه للناس، ويكفى فى النسبة أدنى مناسبة.

وأمّا الصلة فقد بيّنها السيد الطباطبائى بالنحو التالى، وقال:

وفى اختيار ما يبصرون ومالا يبصرون للأقسام به على حقّية القرآن ما لا يخفى من المناسبة، فانّ النظام الواحد المتشابك أجزاؤه الجارى فى مجموع العالم يقضى بتوحّده تعالى، ومصير الكل إليه، وما يترتب عليه من بعث الرسل وإنزال الكتب، والقرآن خير كتاب سماوى يهدى إلى الحقّفى جميع ذلك وإلى طريق مستقيم. (١_____)

١ ـ الميزان:١٩|۴٠٣.

( ١١٣ )

وبتعبير آخر: انّه سبحانه تبارك وتعالى حلف بعالم الغيب والشهادة ـ أى بمجموع الخليقة والنظام السائد على الوجود الإمكانى ـ على وجود هدف مشترك لهذا النظام، وهو صيرورة الإنسان فى هذا الكوكب إنساناً كاملاً مظهراً لأسمائه وصفاته، ولا يتم تحقيق ذلك الهدف إلّا من خلال بعث الرسل وإنزال الكتب، والقرآن كتاب سماوى أُنزل إلى الإنسان.

ثمّإنّه سبحانه دعم حلفه بالبرهان على المقسم عليه، فانّ المقسم عليه عبارة عن كون القرآن كلام رسول كريم أخذه من أمين الوحى، وهو من اللّه سبحانه وليس من مبدعاته ومتقوّلاته وإلّالعمّه العذاب فوراً، قال سبحانه: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بعْضَ الأقاوِيلِ * لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ *ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْه الوَتينَ * فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزين) . (١)

فإذا حالف الرسول النجاح فى الدعوة إلى رسالته والتفت حوله طوائف كثيرة فهو أوضح دليل على أنّه غير كاذب فى دعوته وصادق فى عزوها إلى اللّه وإلّا لما أمهله اللّه سبحانه هذا المقدار من الزمان.

وثمة سوَال يثار، وهو انّ هذه الآيات توعد المتنبىَ الكاذب على اللّه سبحانه بالهلاك، فلو كان هذا مفاد الآية لزم تصديق كلّمن ادّعى النبوّة ولم يشمله العذاب و الهلاك، إذ لو كان كاذباً لأخذه سبحانه باليمين، وقطع منه الوتين، فإذا لم يفعل، فهذا دليل على صدق كلامه وفعاله مع أنّه أمر لا يمكن الالتزام به؟

والجواب: انّ القرآن الكريم ليس بصدد بيان أنّ كلّ من تقوَّل على اللّه سوف يعمّه العذاب والهلاك، وإنّما هو بصدد بيان بعض

الفئات المتقوّلة التى تدعى صلتها باللّه سبحانه خلال معجزة قاهرة خلابة للعقول، فهذا النوع من

---

۱ ـ الحاقة:۴۴ـ ۴۷.



التقوّل يدخل تحت هذه القاعدة، كما فى ادّعاء رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» الرسالة التى أرفقها بمعجزة أبهرت العقول وأدهشت الألباب، فخضع له العرب والعجم فى ظل هذه المعجزة، فلو تقوّل ـ والعياذ باللّه ـ يعمّه العذاب، لأنّه من القبيح أن تقع المعجزة على يد الكاذب، فسيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) ومضيه قدماً فى الدعوة إلى ربّه حتّى وافته المنية أوضح دليل على أنّه صادق فى رسالته، وانّ كلامه كلام ربّه، وانّه ليس بكاهن ولا شاعر.

وأمّا قوله سبحانه: (لأخذْنا منهُ باليَمين) ففيه وجوه أربعة:

۱. أخذنا بيمينه كما يوَخذ المجرم بيده.

۲. أو سلبنا عنه القوة، فانّاليد اليمنى شارة القوة.

۳. أو لقطعنا منه يده اليمنى.

۴. أو لانتقمنا منه بقوة.

والآية بمنزلة قوله سبحانه: (ولَولاَ أن ثَبّتْناكَ لَقَد كِدتَ تَركَنُ إلَيهِمْ شَيئاً قَليلاً *إذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصيراً). (۱)

---

۱ ـ الإسراء:۷۴ـ۷۵.



## الفصل السادس

الفصل السادس القسم فى سورة المدثر

حلف سبحانه فى سورة المدثر بأُمور ثلاثة، هى: القمر ، و الليل عند إدباره، والصبح عند ظهوره، قال: (وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاّهُوَ وَما هِيَإلاّذِكْرى لِلْبَشَر *كَلاّ وَالقَمَرِ * وَاللّيلِ إذا أَدْبَر * والصُّبحِإذا أَسْفَرَ * إنَّها لإحْدَى الكُبَرِ * نَذيراً لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شاءَ مِنْكمْ أنْ يَتقدَّمَ أو يَتَأَخَّرَ ). (۱) تفسير الآيات حلف سبحانه فى هذه الآيات بأُمور ثلاثة ترتبط بعضها بالبعض، ويأتى الثانى عقب الأوّل.

فأمّا القمر يتجلّى فى اللّيل، ولولا الليل لما كان لضوئه ظهور، لأنّه يختفى نوره فى النهار لتأثير الشمس فإذا تجلّى القمر فى الليل شيئاً فشيئاً فيأتى نهاية الليل، الذى عبّر عنه سبحانه : (إذا أدْبر ) وتكون النتيجة طلوع الفجر الذى عبر عنه سبحانه (والصُّبحِ إذا أَسْفَر ) ، فكأنّه يقول سبحانه:احلف بتجلّى القمر فى وسط السماء الذى يسير مع الليل شيئاً فشيئاً، إلى أن يدبر ويسفر الصبح، هذا مفاد الآيات التى تضمّنت المقسم به.

ثمّ إنّ الكُبَر جمع الكبرى، وهى العظمى أى إحدى العظائم، وأمّا ما هو

---

۱ ـ المدثر:۳۱ـ ۳۷.



المراد من العظائم، فسيوافيك بيانه عن قريب.

ثمّ إنّه سبحانه حلف فى هذه الآيات بأُمور ثلاثة:

۱. القمر على وجه الإِطلاق.

۲. الليل إذا أدبر، أى الليل عند انتهائه .

۳. الصبح حينما يسفر ويتجلّى.

وأمّا المقسم عليه فهو عبارة عن قوله:(إِنَّها لِاحدى الكِبَر* نَذيراً لِلْبَشَر* لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقدَّم أَوْ يَتَأَخَّر ) .

والكلام فى مرجع الضمير فى قوله «إنّها»، ففيه وجهان:

الاَوّل: أنّ الضمير يرجع إلى «سقر» الواردة فى الآيات المتقدمة، أعنى قوله تعالى: (وَما أَدْراكَ ما سَقَرُ * لا تُبقى وَلا تَذَر * لَواحَةٌ لِلْبَشَر * عَلَيها تِسْعَةُ عَشَر ) . (۱)

أى انّ سقر هى إحدى الدواهى الكبرى، فهى نذيرة للبشر ومخوّفة لمن شاء منكم أن يتقدّم فى طاعة اللّه أو يتأخر عنها بالمعصية، ولفظة «سقر» من الموَنثات السماعية، وقد جاء ذكرها فى قصيدة ابن الحاجب التى جمع فيها الموَنثات السماعية فى أحد وعشرين بيتاً، وقال:

و كذاك فى كبد و فى كرش و فى سقر ومنها الحرب و النعلان (۲)

الثانى: أنّ الضمير يرجع إلى الآيات فى قوله سبحانه: (كَلّا إِنَّهُ كانَلآياتِنا عَنيداً) . وعلى هذا فالآيات القرآنية لِاحدى الدواهى وهى النذيرة لمن تقدم فى مجال الطاعة أو تأخر لكن المتقدم ينتفع دون المتأخر_____.

۱ ـ المدثر:۲۷ـ۳۰.

۲ ـ روضات الجنات:۵|۱۸۶.



هذا كلّه حول المقسم به، وأمّا المقسم عليه فهو قوله: (إنّها لِاحدى الكبر).

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فعلى التفسير الثانى من الوضوح بمكان، حيث إنّ القمر فى الليل الدامس يهدى السائرين، كما أنّ الصبح وطروء النهار يبدّد الظلام ويظهر النور، فناسب أن يحلف سبحانه بأسباب الهداية، ومعادن النور ومظاهره، بُغية إثبات أنّ القرآن لِاحدى المعاجز الكبرى التى تهدى البشر إلى سبيل الرشاد.

وأمّا على التفسير الاَوّل، ورجوع الضمير إلى سقر فالمناسبة خفية، إلّا أن يقال بأنّالمقسم به أى القمر فى وسط السماء وانجلاء الليل وطلوع الفجر من آياته الكبرى كما أنّ سقراً أيضاً كذلك.

ولا يخفى انّالقسم بالقمر جاء للتأكيد على عظمته، فهو أقرب الاَجرام السماوية للاَرض وأقل حجماً منها، يدور حول الاَرض مرّة كلّ شهر، وجاذبية القمر مع جاذبية الشمس هى سبب المد والجزر.

وتبلغ درجة حرارة جانب القمر المواجه للشمس ۱۲۰ درجة مئوية ، أى أعلى من درجة غليان الماء، ودرجة حرارة الجانب المظلم أقل من درجة تجمّد الماء بقدر يبلغ ۱۵۰ درجة.

كما أنّ سطحه صحارى وقفار تتناهض فيها البراكين الخامدة، وجباله ضخمة عظيمة يبلغ ارتفاعها ۴۲ ألف قدم بزيادة تقرب من ۱۳ ألف قدم عن أعلى جبل على الاَرض، وفوهات البراكين هائلة العظمة يبلغ قطر أكبرها ۱۰۰ ميل، وجباله أقدم بكثير من سلاسل الجبال الاَرضية بملايين السنين. (۱_____)

۱ ـ اللّه والعلم الحديث: ۲۷.

## الفصل السابع

الفصل السابع القسم فى سورة القيامة

حلف سبحانه فى سورة القيامة بأمرين: ١. يوم القيامة، ٢. النفس اللوامة، وقال: (لا ـ أُقْسِمُ بِيَومِ القِيامَةِ * وَلا ـ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِاللَّوّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ * بلى قادِرينَ عَلى أَنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ * بَلْ يُريدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ * يَسئَلُأَيّانَ يَومُ القِيامَةِ) . (١)

تفسير الآيات

اختلف المفسرون فى كلمة «لا » على أقوال (٢)

الاَوّل: انّ لا أقسم كلمة قسم وانّ العرب تزيد كلمة لا فى القسم، كما قال امروَ القيس:

لا ـ وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى قوم انّى أفر الثانى: انّلا نافية، رد لكلام قد تقدّم، وجواب لهم، وذلك هو المعروف فى كلام الناس فى محاوراتهم، فإذا قال أحدهم: لا، واللّه ما فعلت كذا، قصد بقوله: «لا» ردّ الكلام السابق، فهم لما أنكروا البعث، قيل لهم ليس الاَمر على ما ذكرتم، ثمّ أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة إنّ البعث حقّ_____.

١ ـ القيامة:١ـ ۶.

٢ ـ مرّ الكلام فيه أيضاً لاحظ ص: ٨١.

( ١١٩ )

الثالث: انّها للنفى، على معنى انّى لا أعظمه بأقسامى به حقّإعظامه، فانّه حقيق بأكثر من هذا، وهو يستحق فوق ذلك.

فعلى المعنى الاَوّل«لا» زائدة، ولكنّه بعيد فى كلام ربّ العزة، والمتعين أحد المعنيين الاَخيرين.

أمّا المقسم به: فهو أمران:

أ: يوم القيامة.

ب: النفس اللوامة.

أمّا الاَوّل: فهو يوم البعث الذى يجمع اللّه فيه الناس على صعيد واحد، وإنّما سمّى يوم القيامة لاَجل انّه يقوم به الحساب، قال سبحانه حاكياً عن إبراهيم: (رَبَّنا اغْفِر لى وَلِوالِدَىّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِساب) (١) وانّه يوم يقوم به الاشهاد، قال سبحانه: (إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالّذِينَآمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَيَومَ يَقُومُ الاَشْهاد) (٢) وانّه يوم يقوم فيه الروح، قال سبحانه:(يَومَ يَقُومُالرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً) (٣)، وانّه يوم يقوم الناس لربّ العالمين، كما قال سبحانه:(يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِين)(۴)، إلى غير ذلك من الوجوه التى توضح وجه تسمية اليوم بالقيامة، وقد جاء يوم القيامة فى القرآن سبعين مرّة، فلم تستعمل القيامة إلّامضافة إلى يوم_____.

١ ـ إبراهيم:۴١.

٢ ـ غافر:۵١.

٣ ـ النبأ: ٣٨.

۴ ـ المطففين:۶.

( ١٢٠ )

وأمّا الثانى: أى النفس اللوامة صيغة مبالغة من اللوم، وهى عدل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم، يقال لمته فهو ملوم، قال سبحانه: (فَلا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ) (١) إلى غير ذلك من الآيات التى ورد فيها اللوم وما اشتق منه.

واختلف المفسرون فى المراد من النفس اللوامة على أقوال:

الاَوّل: هى نفس آدم التى لم تزل تتلوّم على فعلها الذى خرجت به من الجنة والظاهر أنّ هذا القول من قبيل تطبيق الكلى على مصداقه، وليس هناك قرينة على أنّها، المراد فقط.

الثانى: مطلق النفس، إذ ليس من نفس برّة ولا ـ فاجرة إلّا وهى تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت، وإن

كانت عملت سوءاً قالت: يا ليتنى لم أفعل.

الثالث: وربما تختص بالنفس الكافرة الفاجرة.

الرابع: عكس ذلك، والمراد نفس المؤمن التى تلومه فى الدنيا على ارتكاب المعصية وتحفّزه على إصلاح ما بدا منه.

والظاهر أنّ القول الثانى هو المتعيّن،أى مطلق النفس التى تلوم صاحبها سواء أكان لأجل فوت الخير أو ارتكاب الشر.

وعلى كلّ حال فالآية تحكى عن المنزلة العظيمة التى تتمتع بها النفس اللوامة إلى حدّ أقسم بها سبحانه وإلّالما حلف بها.

وأمّا المقسم عليه فمحذوف أى لتُبْعثُنَّ_____.

۱ ـ إبراهيم:۲۲.



وأمّا الصلة بين المقسم عليه أعنى قوله: «لتبعثن» والحلف «بالنفس اللوامة» فهى ظهور اللوم من هذه النفس يوم القيامة، فانّ نفس الكافر لا تلومه فى الدنيا إلّاقليلاً، فى حين يتجلّى اللوم ويتجسّد يوم القيامة أكثر فأكثر.

وأمّا كرامة النفس اللوامة فواضحة جداً، لأنّها تردع الإنسان عن اقتراف الذنوب، ولا يمكن خداعها، وهى يقظة تزجر الإنسان دائماً بالنسبة إلى ما عمله وقصده.

إنّ إبراهيم لما حطّم الأصنام وجعلها جذاذاً إلّاكبيراً لهم لعل القوم يرجعون إليه ويرتدعون عن عقيدتهم بإلوهيتها، فلمّا رجعوا ووقفوا على أنّه عمل إبراهيم أحضروه للاقتصاص منه، وخاطبوه بقولهم: (أأنت فعلت هذا بآلهتنا)، فأجابهم إبراهيم: (بل فَعَلَهُ كَبيرهُم) ، ثمّ أمرهم بسؤاله عن الجريمة التى ارتكبها، فبهُت الجمع من هذا السؤال وظلوا صامتين لعجزهم عن الإجابة، فعندئذ تبين لهم أنّ مثل هذا الصنم أحط من أن يعبد، فاستيقظ وجدانهم وأخذت نفوسهم تلومهم على النهج الذى اختطوه، بل الآلهة التى عبدوها حيث وجدوا انّها غير خليقة بالعبادة والخضوع، وهذا ما يحكى عنه القرآن بقوله: ( فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظالمون) أى خاطبوا أنفسهم بالظلم، فكأنّه قال بعضهم لبعض أنتم الظالمون حيث تعبدون مالا يقدر عن الدفع عن نفسه وما نرى الأمر إلّاكما قال هذا الفتى.

هذه هى النفس اللوامة التى تظهر بين الحين والآخر وتزجر الإنسان عن ارتكاب الذنوب.

وهذا الذى يسمّيه علم النفس فى يومنا هذا بالوجدان الأخلاقى، ويصفون الوجدان محكمة لا تحتاج إلى قاض سوى النفس، وهى التى تقوم بتأسيس



المحكمة، وتشخص المجرم، وتصدر الحكم بلا هوادة، ودون أى تهاون.

وفى الآيات القرآنية الأُخرى إشارة إلى تلك المرتبة من النفس، يقول سبحانه: (وَنَفْسٍ وَما سَوّاها *فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) . (۱)

يقول الإمام الصادق فى تفسير الآية: «بيّن لها ما تأتى وما تترك». (۲)

إنّاللوم والعزم فرع معرفة النفس بخير الأُمور وشرّها، فلو لم تكن عالمة من ذى قبل لم تصلح للوعظ ولا للزجر، ولأجل ذلك،يقول سبحانه: (أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَينَين *وَلِساناً وَشَفَتَيْن * وَهَدَيْناهُ النَّجْدَين) . (۳)

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) :«هداه إلى نجد الخير والشر». (۴)

ثمّإنّ مراتب الزجر تختلف حسب صفاء النفس وكدورتها وابتعادها عن ممارسة الشر، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : «إنّ اللّه إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه فلا يسمع معروفاً إلّاعرفه ولا منكراً إلّاأنكره». (۵)

نعم، ما حباه اللّه سبحانه لكلّ إنسان من النفس اللوامة، كرامة ونعمة عظيمة، حيث يعرف على ضوئها الحسن من القبيح والخير من الشر، ولكنّه لو مارس الشرّ مدّة لا يستهان بها ربما تعوق النفس عن القضاء فى الخير بالخير والشر بالشر، بل ربما يرى الشر خيراً

والخير شراً، وذلك فيما إذا زاوله الإنسان كثيراً بنحو ترك بصماته على روحه ونفسه وقضائه وتفكيره، وقد أشار سبحانه إلى أنّ قبح وأد البنات وقتل الأولاد ـ لأى غاية من الغايات كانت ـ أمر يدركه كلّإنسان، ولكن ترى أنّ بعض المشركين يستحسن عمله هذا ويعدّه من مفاخره

---

١ ـ الشمس:٧ـ ٨.

٢ ـ الكافى:١|١۶٣.

٣ ـ البلد: ٨ ـ ١٠.

۴ ـ الكافى:١|١۶٣.

۵ ـ اثبات الهداة:١|٨٧.



وكراماته، يقول سبحانه: (وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِكَثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكينَقَتْلَ أَولادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ) . (١)

فقد أثر الشركاء فى عقول الوثنيين وتفكيرهم فصار القبيح حسناً والشر خيراً، يقول سبحانه: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاء).(٢)

وعلى هذا فليست النفس اللوامة باقية على صفاتها وقضائها الحق فى جميع الظروف والحالات بل ربما يكون قضاوَها على خلاف ما هو الحقّ، لا سيما فيمن يزاول الجرم طيلة عمره، فربما يعود فى آخر عمره يتنكر لجميع المقدسات ويسيطر فعله القبيح على آفاق فكره وإيمانه، يقول سبحانه: (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساءُوا السُّوأى أن كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ) . (٣) مراتب النفس فى الذكر الحكيم إنّالقرآن الكريم جعل للنفس الإنسانية مراتب:

١. النفس الأمّارة، ٢. النفس اللوّامة، ٣. النفس المطمئنة، ۴. النفس الراضية المرضية، وإليك وصف هذه المراتب بنحو موجز: ١. النفس الأمّارة إنّالنفس بطبعها تدعو إلى مشتهياتها من السيئات، فليس للإنسان أن يبرّئ

---

١ ـ الأنعام:١٣٧.

٢ ـ فاطر:٨.

٣ ـ الروم:١٠.



نفسه من الميل إلى السوء،وإنّما له أن يكف عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشر وذلك برحمة من اللّه سبحانه، يقول سبحانه نقلاً عن يوسف (عليه السلام) : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفس لَأَمّارَةٌ بالسُوء إِلاّمَا رَحِمَ رَبّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيم) . (١)

فما أبرأ يوسف نفسه عن أمرها بالسوء، وإنّما كفّها عن ارتكاب السوء، لأنّ النفس طبعت على حب الشهوات التى تدور عليها رحى الحياة.

والأخلاق جاءت لتعديل ذلك الميل، وجعلها فى مسير السعادة وحفظها عن الإفراط و التفريط، فالمادية نادت بالانصياع لرغبات اللّذات مهما أمكن،والرهبانية نادت بكبح جماح اللذات والشهوات والعزوف عن الحياة واللوذ فى الكهوف والأديرة، ولكن الإسلام راح يدعو إلى منهج وسط بينهما، ففى الوقت الذى يدعو إلى أكل الطيّبات وينذّد بمن يحرّمها، ويقول: (قُلْمَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الّتى أَخْرجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْق) . (٢) يأمر بكبح جماح النفس عن ارتكاب المعاصى والسيئات التى توجب الفوضى فى المجتمع وتسوقه إلى الانحلال الأخلاقى. ٢. النفس اللوّامة النفس اللوامة وهى الضمير الذى يوَنّب الإنسان على ما اقترفه من السيئات و الآثام

خصوصاً بعد ما يفيق من سكراتها فيجد نفسه تنحدر فى دوامة الندم على ما ارتكبه وإنابة إلى الحقّ، وهذا يدل على أنّ النفس ممزوجة بالميل إلى الشهوات،

---

١ ـ يوسف:٥٣.

٢ ـ الأعراف:٣٢.

( ١٢٥ )

وفى الوقت نفسه فيها ميل إلى الحقّ والعدل، ولكلّ تجلّى خاص، فانّ غلبة الشهوات يحول دون ظهور نور العقل فيقترف المعاصى والآثام، ولكنّه ما إن تخمد شهوته، حينها يصفو أمامه جمال الحياة وتنكشف مضرات اللّذة فتستيقظ النفس اللوامة وتأخذ باللوم والعذل إلى حد ربما تدفع بصاحبها إلى الانتحار، لعدم تحمله وطأة تلك الجريمة.

وهذه النفس حيّة يقظة لا تتصدع بكثرة الذنوب وإن كانت تضعف بممارستها. ٣. النفس المطمئنّة وهى النفس التى توصلها النفس اللوّامة إلى حد لا تعصف بها عواصف الشهوة، وتطمئن برحمة الرب وتحس بالمسوَولية الموضوعة على عاتقها أمام اللّه وأمام المجتمع، يقول سبحانه: (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً) (١) فصاحب هذه النفس يمتلئ بالسرور والفرح عند الطاعة وتجد فى صميمها لذة للطاعة وحلاوة للعبادة لا يمكن وصفها بالقلم واللسان.

وبعبارة أُخرى: النفس المطمئنّة هى التى تسكن إلى ربها وترضى بما رضى به، فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شر أو نفع أو ضر، ويرى الدنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أى نفع وضر، ابتلاء وامتحاناً إلهياً، فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان، وإكثار الفساد، والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان فى الكفر وترك الشكر، بل هو فى مستقر من العبودية لا

---

١ ـ الفجر:٢٧ـ ٢٨.

( ١٢٦ )

ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط. (١)

وهناك كلمة قيمة للحكيم محمد مهدى النراقى حول واقع النفوس الثلاث، يقول:

والحقّ انّها أوصاف ثلاثة للنفس بحسب اختلاف أحوالها، فإذا غلبت قوتها العاقلة على الثلاثة الأُخر، وصارت منقادة لها مقهورة منها، وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سمّيت«مطمئنة»، لسكونها حينئذٍ تحت الأوامر والنواهى،وميلها إلى ملائماتها التى تقتضى جبلتها،وإذا لم تتم غلبتها وكان بينها تنازع وتدافع، وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصى حصلت للنفس لوم وندامة سمّيت «لوامة». وإذا صارت مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت «أمّارة بالسوء» لأنّه لما اضمحلت قوتها العاقلة وأذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة، فكأنّما هى الآمرة بالسوء. (٢) ۴. النفس الراضية المرضية وهى النفس المتكاملة الراضية من ربّها رضى الرب منها، واطمئنانها إلى ربّها يستلزم رضاها بما قدّر وقضى تكويناً أو حكم به تشريعاً، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضى العبد من ربّه، رضى الرب منه، إذ لا يسخطه تعالى إلّا خروج العبد من زى العبودية، فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضى ربّه ولذا عقب قوله: «راضية» بقوله: «مرضية».

قوله تعالى: (فَادْخُلِى فِى عِبادى * وَادْخُلى جَنّتى) تفريع على قوله: (ارجعى إِلى رَبِّكِ) وفيه دلالة على أنّ صاحب النفس المطمئنّة فى زمرة عباد

---

١ ـ الميزان:٢٠|٢٨٥.

۲ ـ جامع السعادات:۱|۶۳ـ ۶۴.

( ۱۲۷ )

اللّه حائز مقام العبودية، وذلك انّه لما اطمأنّ إلى ربّه انقطع عن دعوى الاستقلال ورضى بما هو الحقّ من ربّه فرأى ذاته وصفاته وأفعاله ملكاً طلقاً لربّه فلم يرد فيما قدر وقضى، ولا فيما أمر ونهى، إلّا ما أراده ربّه، وهذا ظهور العبودية التامة فى العبد، ففى قوله: (فَادْخُلى فى عِبادى) تقرير لمقام عبوديتها.

وفى قوله:(وادْخُلى جَنَّتى) تعيين لمستقرها، وفى إضافة الجنة إلى ضمير المتكلم تشريف خاص، ولا يوجد فى كلامه تعالى إضافة الجنة إلى نفسه تعالى وتقدس إلّافى هذه الآية. (۱) هذا كلّه حول المقسم به.

وأمّا المقسم عليه: فهو محذوف معلوم بالقرينة أى «لتبعثنّ» وإنّما حذف للدلالة على تفخيم اليوم وعظمة أمره، قال تعالى: (ثَقُلَتْ فِى السَّماواتِ وَالاَرْضِ لا تَأْتيكُمْ إِلّابَغْتَةً) (۲) وقال: (إِنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخفِيها لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى) (۳) ، وقال: (عَمّ يَتَساءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظيم) (۴). (۵)

وأمّا وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فواضح، فانّ الإنسان إذا بعث يوم القيامة يلوم نفسه لَاجل ما اقترف من المعاصى، إذ فى ذلك الموقف الحرج تنكشف الحجب ويقف الإنسان على ما اقترف من المعاصى والخطايا، فيندم على ما صدر منه قال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِى الاَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا العَذابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (۶)، وقال سبحانه: (وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَروا بَلْ مَكْرُ اللَّيلِ وَالنَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نكفُرَ باللّهِ وَنَجْعل لَهُ أَنْداداً وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوا العَذابَ وَجَعَلْنَا الاَغلالَفى أَعْناقِ الَّذينَ كَفَرُوا هَل يُجْزونَ إِلّاما كانوا يَعْمَلُونَ). (۷)

وبالجملة فيوم القيامة يوم الندم والملامة، ولات حين مناص.

---

۱ ـ الميزان: ۲۰|۲۸۶.

۲ ـ الاَعراف:۱۸۷.

۳ ـ طه:۱۵.

۴ ـ النبأ:۱ـ۲.

۵ ـ الميزان: ۲۰|۱۰۴.

۶ ـ يونس:۵۴.

۷ ـ سبأ:۳۳.

## الفصل الثامن

الفصل الثامن القسم فى سورة المرسلات

لقد حلف سبحانه بأوصاف الملائكة ، وقال:

أ: (وَالمُرسَلاتِ عُرْفاً) .

ب: (فَالعاصِفاتِعَصْفاً) .

ج: (وَالنّاشِراتِ نَشْراً) .

د: (فَالفارِقاتِ فَرْقاً) .

هـ: (فَالْمُلْقِياتِذِكراً * عُذْراً أو نُذْراً * إِنَّما تُوعَدونَ لَواقِعٌ) . (۱)

حلف سبحانه فى هذه الآيات بأُمور يعبّر عنها بـ«المرسلات، فالعاصفات، والناشرات، فالفارقات، فالملقيات ذكراً عذراً أونذراً.

وقد اختلفت كلمة المفسّرين فى تفسير هذه الاَقسام، وقد غلب عليهم تفسيرها بالرياح المرسلة العاصفة الناشرة، بيد أنّوحدة السياق تبعثنا إلى تفسيرها بأمر واحد تنطبق عليه هذه الصفات، فنقول:

١. (المُرْسَلاتِ عُرفاً) أى أقسم بالجماعات المرسلات من ملائكة الوحى، والعرف ـ بالضم فالسكون ـ الشعر الثابت على عنق الفرس ويشبه به الاُمور إذا تتابعت يقال جاءُوك كعرف الفرس، يقول سبحانه: (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ

---

١ ـ المرسلات:١ ـ ٧.



بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) (١)، ومع ذلك فقد فسر بالرياح المرسلة المتتابعة.

٢.(فَالعاصِفاتِ عَصْفاً) والعصف هو سرعة السير، والريح العاصفة بمعنى سرعة هبوبها، والمراد اقسم بالملائكة الذين يرسلون متتابعين فيسرعون فى سيرهم كالرياح العاصفة.

ومع ذلك فسر بالرياح الشديدة الهبوب.

٣. (وَالنّاشِراتِ نَشْراً) قسم آخر، والمراد نشر الصحيفة والكتاب، والمعنى أقسم بالملائكة الناشرين للصحف المكتوب عليها الوحى للنبى ليتلقاه، ومع ذلك فقد فسّرت بالرياح التى تنشر السحاب نشراً للغيث كما تلقحه للمطر.

٤. (فَالفارِقات فَرقاً) المراد به الملائكة الذين يفرقون بين الحقّوالباطل والحلال والحرام، وذلك لاَجل حمل الوحى المتكفّل ببيان الحقّ والباطل ومع ذلك فقد فسّر بالرياح التى تفرق بين السحاب فتبدّده.

٥. (فَالْمُلْقياتِ ذِكراً) المراد به الملائكة، تلقى الذكر على الاَنبياء وتلقيه الاَنبياء إلى الاُمم.

وعلى ذلك فالمراد بالذكر هو القرآن يقرأونه على النبى، أو مطلق الوحى النازل على الاَنبياء المتلو عليهم.

ثمّ يبّن انّالغاية من إلقاء الوحى أحد الاَمرين إمّا الاِعذار أو الاِنذار، والاِعذار الاِتيان بما يصير به معذوراً، والمعنى انّه يلقون الذكر لتكون عذراً لعباده المؤمنين

---

١ ـ النحل:٢.



بالذكر وتخصيصاً لغيرهم.

وبعبارة أُخرى يلقون الذكر ليكون إتماماً للحجة على المكذبين وتخويفاً لغيرهم، هذا هو الظاهر من الآيات.

وأمّا المقسم عليه فهو قوله: (إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِع) وما موصولة والخطاب لعامة البشر، والمراد إنّما توعدون يوم القيامة بما فيه من العقاب والثواب أمر قطعى وواقع وإنّما عبر بواقع دون كائن، لاَنّه أبلغ فى التحقّق.

ثمّ إنّ الصلة بين المقسم به والمقسم عليه واضحة، لاَنّ أهم ما تحمله الملائكة وتلقيه هو الدعوة إلى الاِيمان بالبعث والنشور، ويؤيد ذلك قوله (عذراً أو نذراً) أى إتماماً للحجة على الكفار وتخويفاً للمؤمنين كل ذلك يدل على معاد قطعى الوقوع يحتج به على الكافر ويجزى به المؤمن.

وهناك بيان للعلاّمة الطباطبائى، حيث يقول: من لطيف صنعة البيان فى هذه الآيات الست انّها مع ما تتضمن الاِقسام لتأكيد الخبر الذى فى الجواب تتضمن الحجة على مضمون الجواب وهو وقوع الجزاء الموعود، فانّ التدبير الربوبى الذى يشير إليه القسم، أعنى: إرسال المرسلات العاصفات ونشرها الصحف وفرقها وإلقاءها الذكر للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) تدبير لا يتم إلاّمع وجود التكليف

الإلهى والتكليف لا يتم إلّامع تحتم وجود يوم معه للجزاء يجازى فيه العاصى والمطيع من المكلفين.

فالذى أقسم تعالى به من التدبير لتأكيد وقوع الجزاء الموعود هوبعينه حجّة على وقوعه كأنّه قيل: اقسم بهذه الحجّة انّ مدلولها واقع. (۱)

۱ ـ الميزان:۲۰|۱۴۷.



## الفصل التاسع

الفصل التاسع القسم فى سورة النازعات

حلف سبحانه بأوصاف الملائكة خمس مرات، وقال:

(وَالنّازِعاتِ غَرْقاً) .

(وَالنّاشِطاتِ نَشْطاً) .

(وَالسّابِحاتِ سَبْحاً) .

(فَالسّابِقاتِ سَبْقاً) .

(فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً * يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ * تَتْبَعُها الرّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَومَئِذٍ واجِفَةٌ * أَبْصارُها خاشِعَةٌ) . (۱)

حلف سبحانه فى هذه السورة بطوائف وصفها بـ: النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات.

النازعات من النزع، يقال: نزع الشىء جذبه من مقره، كنزع القوس عن كنانته.

والناشطات من النشط وهو النزع أيضاً، ومنه حديث أُمّ سلمة فجاء عمار وكان أخاها من الرضاعة ونشط زينب من حجرها، أى نزعها؛ ونشط الوحش من بلد إلى بلد إذاخرج.

۱ ـ النازعات:۱ ـ ۹.



والسابحات من السبح السريع فى الماء وفى الهواء، ويقال: سبح سبحاً وسباحة، واستعير لمرّ النجوم فى الفلك ولجرى الفرس.

والسابقات من السبق والمدبرات من التدبير.

وأمّا الغرق اسم أُقيم مقام المصدر، وهو الإغراق، يقال: غرق فى النزع إذا استوفى فى حدّ القوس وبالغ فيه.

هذه هى معانى الألفاظ، وأمّا مصاديقها فيحتمل أن تكون هى الملائكة، فهى على طوائف بين نازع وناشط وسابح وسابق ومدبر، قال الزمخشرى: أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها، وبالطوائف التى تسبح فى مضيها، أى تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمراً من أُمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم. (۱)

والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثنّ يدل عليه ما بعده من ذكر القيامة.

ولا يخفى انّالطائفة الثانية على هذا التفسير نفس الطائفة الأُولى، فالملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد هم الذين ينشطون الأرواح ويخرجونها، ولكن يمكن التفريق بينهما، بأنّ الطائفة الأُولى هم الموكّلون على نزع أرواح الكفار من أجسادهم بقسوة وشدة بقرينة قوله غرقاً، وقد عرفت معناه، وأمّا الناشطات هم الموكلون بنزع أرواح المؤمنين برفق وسهولة.

والسابحات هم الملائكة التى تقبض الأرواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنة، وبروح الكافر إلى النار، والسبح الإسراع فى الحركة، كما يقال: للفرس سابح إذا أسرع فى جريه.

۱ ـ الكشاف:۳|۳۰۸.

( ۱۳۳ )

والسابقات وهم ملائكة الموت تسبق بروح المؤمن إلى الجنة وبروح الكافر إلى النار.

فالمدبرات أمراً المراد مطلق الملائكة المدبرين للأُمور، ويمكن أن يكون قسم من الملائكة لكلّ وظيفة يقوم بها، فعزرائيل موكل بقبض الأرواح وغيره موكل بشيء من التدبير.

ثمّ إنّ الأشد، انطباقاً على الملائكة، هو قوله : (فالمدبرات أمراً) ، وهو قرينة على أنّ المراد من الأخيرين هم الملائكة، وبذلك يعلم أنّ سائر الاحتمالات التى تعجّ بها التفاسير لا يلائم السياق، فحفظ وحدة السياق يدفعنا إلى القول بأنّهم الملائكة.

وبذلك يتضح ضعف التفسير التالى:

المراد بالنازعات الملائكة القابضين لأرواح الكفّار، وبالناشطات الوحش، وبالسابحات السفن، وبالسابقات المنايا تسبق الآمال، وبالمدبرات الأفلاك، ولا يخفى انّه لا صلة بين هذه المعانى وما وقع جواباً للقسم وما جاء بعده من الآيات التى تذكر يوم البعث وتحتج على وقوعه.

والآيات شديدة الشبه سياقاً بما مرّ فى مفتتح سورة الصافات والمرسلات، والظاهر انّ المراد بالجميع هم الملائكة.

يقول العلّامة الطباطبائى: وإذ كان قوله: (فالمدبرات أمراً) مفتتحاً بفاء التفريع الدالة على تفرع صفة التدبير على صفة السبق، وكذا قوله: (فَالسّابِقاتِ سَبْقاً) مقروناً بفاء التفريع الدالة على تفرع السبق على السبح، دلّ ذلك على مجانسة المعانى المرادة بالآيات الثلاث: (وَالسّابِحاتِ سَبحاً * فَالسّابِقاتِ سَبْقاً *

( ۱۳۴ )

فَالمُدبِّراتِ أَمْراً) فمدلولها أنّهم يدبرون الأمر بعدما سبقوا إليه ويسبقون إليه بعد ما سبحوا أى أسرعوا إليه عند النزول، فالمراد بالسابحات والسابقات هم المدبرات من الملائكة باعتبار نزولهم إلى ما أمروا بتدبيره. (۱) تدبير الملائكة إنّ القرآن الكريم يعرّف اللّه سبحانه هو المدبر والتوحيد فى التدبير من مراتبه فله الخلق والتدبير، ولكن هذا لا ينافى أن يكون بينه سبحانه وبين عالم الخلق وسائط فى التدبير يدبرون الأُمور بإرادته ومشيئته، ويوَدّون علل الحوادث وأسبابها فى عالم الشهود، والآيات الواردة حول تدبير الملائكة كثيرة تدل على أنّهم يقومون بقبض الأرواح وإجراء السوَال، وإماتة الكل بنفخ الصور وإحيائهم بذلك ووضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنّة والنار.

كما أنّهم وسائط فى عالم التشريع حيث ينزلون مع الوحى ويدفعون الشياطين عن المداخلة فيه وتسديد النبى وتأييد المؤمنين.

وبالجملة هم (عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَول وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون) (۲)

فاللّه سبحانه يجرى سننه ومشيئته بأيديهم، فيقبض الأرواح بواسطتهم، وينزل الوحى بتوسيطهم،وليس لواحد منهم فى عملهم أى استقلال واستبداد، وفى الحقيقة جنوده سبحانه يقتفون أمره. (۳)

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فى حقّ الملائكة: فمنهم سجود لا

---

۱ ـ الميزان: ۲۰|۱۸۱.

۲ ـ الأنبياء: ۲۶ ـ ۲۷.

۳ ـ الميزان: ۲۰|۱۸۸، نقل بتلخيص.

( ۱۳۵ )

يركعون،وركوع لا ينتصبون، وصافُّون لا يتزايلون، ومسبِّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نومُ العين، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النِّسيان، ومنهم أُمناءُ على وحيه، وألسنة إلى رُسُله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظةُلعباده والسَّدنَة لأبواب جنانه، ومنهم

الثابتة فى الاَرضين السُّفلى أقدامُهُم، والمارقةُ من السماء العليا أعناقُهُم، والخارجة من الاَقطار أركانُهم، والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم، متلفِّعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم و بين من دونهم حُجُب العزَّة وأستار القدرة، لا يتوهَّمون ربَّهم بالتَّصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدُّونه بالاَماكن، ولا يُشيرون إليه بالنَّظائر. (۱)

وقد عرفت أنّ المقسم عليه هو كتبعثن، وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، هو ما قدمناه فى الفصل السابق وهى انّ الملائكة هم وسائط التدبير وخلق العالم وتدبيره لم يكن سدى ولا عبثاً بل لغاية خاصة وهو عبارة عن بعث الناس ومحاسبتهم وجزائهم بما عملوا.

---

۱ ـ نهج البلاغة:۱۹ ـ ۲۰،الخطبة الاُولى.

## الفصل العاشر

الفصل العاشر القسم فى سورة التكوير

قد حلف سبحانه فى سورة التكوير بالكواكب بحالاتها الثلاث، مضافاً إلى الليل المدبر، والصبح المتنفس، وقال:(فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوارِ الكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى العَرْشِ مَكِينٍ * مطاعٍ ثَمَّ أَمِين) .

(۱) تفسير الآيات أشار سبحانه إلى الحلف الاَوّل، أى الحلف بالكواكب بحالاتها الثلاث بقوله:

الخُنَّس، الجوار، الكنس.

كما أشار إلى الحلف بالليل إذا أدبر، بقوله: (وَاللَّيْلِإذا عَسْعَس) .

وإلى الثالث أى الصبح المتنفس بقوله: (والصُّبْحِ إذا تَنَفَّس) .

وجاء جواب القسم فى قوله: (إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيم) فوصف الرسول بصفات خمس : كريم، ذى قوة، عند ذى العرش مكين، مطاع، ثم أمين.

فلنرجع إلى إيضاح الاَقسام الثلاثة ثمّ نعرج إلى بيان الرابطة بين المقسم به

---

۱ ـ التكوير:۱۵ ـ ۲۱.



والمقسم عليه.

أمّا الحلف الاَوّل فهو رهن تفسير الاَلفاظ الثلاثة.

فقد ذكر سبحانه أوصافاً ثلاثة:

الاَوّل: الخنس: وهو جمع خانس كالطُّلَّب جمع طالب، فقد فسره الراغب فى مفرداته بالمنقبض، قال سبحانه: (مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الخَنّاس) أى الشيطان الذى يخنس، أى ينقبض إذا ذكر اللّه تعالى.

وقال تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّس) أى بالكواكب التى تخنس بالنهار.

وقيل: الخنس من زحل والمشترى والمريخ، لاَنّها تخنس فى مجراها أى ترجع،واخنست عنه حقه أى أخرته. (۱)

فاللفظ هنا بمعنى الانقباض أو التأخر، ولعلهما يرجعان إلى معنى واحد، فانّ لازم التأخر هو الانقباض.

الثانى: الجوار: جمع جارية، والجرى السير السريع مستعار من جرى الماء.

قال الراغب: الجرى، المرّ السريع، وأصله كمرِّ الماء.

قال سبحانه: (وَمِنْ آياتِهِ الجوارِ فِى البَحْرِ كَالاَعلام) (۲) أى السفينة التى تجرى فى البحر.

الثالث: الكنس: جمع كانس والكنوس دخول الوحش كالظبى والطير كناسه أى بيته الـذى اتخـذه لنفسه واسـتقراره فيه،وهو كنايهٔ عن الاختفاء

فالمقسم به فى الواقع هى الجوارى بما لها من الوصفين: الخنوس

---

١ ـ مفردات الراغب: مادهٔ خنس.

٢ ـ الشورى:٣٢.

( ١٣٨ )

والكنوس، وكـأنّه قال: فلا أقسم بالجوار الخنس والكنس، فقـد ذهب أكثر المفسـرين أنّ المراد من الجوارى التى لها هـذان الوصـفان هى الكواكب الخمسهٔ السـيارهٔ التى فى منظومتنا الشمسيهٔ، والتى يمكن روَيتها بالعين المجردهٔ، وهى عطارد، الزهرهٔ، المريخ، المشترى، زحل و يطلق عليها السيارات المتغيرهٔ.

وتسميهٔ هذه الخمسهٔ بالسيارات والبواقى بالثابتات لا يعنى نفى الجرى والحركهٔ عن غيرها، إذ لاشك انّ الكواكب جميعها متحركات، ولكن الفواصـل والثوابت بين النجوم لو كـانت ثابتـهٔ غير متغيرهٔ فتطلق عليهـا الثابتـات، ولو كـانت متغيرهٔ فتطلق عليها السـيارات، فهـذه السيارات الخمسهٔ تتغير فواصلها عن سائر الكواكب.

إذا عرفت ذلك: فهذه الجوارى الخمس لها خنوس وكنوس، وقد فسرا بأحد وجهين:

الاَوّل: أنّها تختفى بالنهار، وهو المراد من الخنّس، وتظهر بالليل وهو المراد من الكنّس.

يلاحظ عليه:أنّتفسير خنس بالاختفاء لا يناسب معناها اللغوى، أعنى: الانقباض والتأخر إلاّ أن يكون كنايهٔ عن الاختفاء.

كمـا أنّتفسـير الكنس بـالظهور خلاـف مـا عليه أهـل اللغـهٔ فى تفسـيره بالاختفـاء، وما ربما يقال : من أنّـها تظهر فى أفلاكها كما تظهر الظبـاء فى كنسها (١)

لا يخلو من إشكال، فأنّ الظباء لا تظهر فى كنسها بل تختفى فيها.

ولو سلمنا ذلك فالاَولى أن يفسر الجوارى بمطلق الكواكب لا الخمسهٔ المتغيرهٔ_____ .

١ ـ تفسير المراغى:٣٠|٥٧.

( ١٣٩ )

الثانى: أن يقال: انّ خنوسها وانقباضها كنايهٔ عن قرب فواصلها ثمّ هى تجرى وتستمر فى مجاريها، وكنوسهاعبارهٔ عن قربها و تراجعها قال فى اللسان: «وكنست النجوم كنساً، كنوساً: استمرت من مجاريها ثم انصرفت راجعهٔ. (١)

وعلى ذلك فاللّه سبحانه يحلف بهذه الاَنجم الخمسهٔ بحالاتها الثلاث المترتبهٔ فى الليل، وهى انّها على أحوال ثلاثهٔ.

منقبضـات حينمـا تقرب فواصـلها ثمّ إنّهـا بـالجرى يبتعـد بعضـها عن بعض، ثمّ ترجع بالتدريـج إلى حالتهـا الاُولى فهى بين الانقباض والابتعاد بالجرى ثمّ الرجوع إلى حالتها الاُولى.

(واللّيل إذا عَسْعَس) :وقد فسر عسعس بإدبار الليل وإقباله، فإقبالها فى أوّله وإدبارها فى آخره.

والظاهر انّ المراد هو إقبالها.

قال الزجاج: عسـعس الليل إذا أقبل وعسـعس إذا أدبر، ولعل المراد هو الثانى بقرينـهٔ الحلف الثالث أعنى (وَالصُّبح إذا تَنَفَّس) ،والمراد من تنفس الصبح هو انبسـاط ضوئه على الاُفق ودفعه الظلمـهٔ التى غشـيته، وكأنّ الصـبح موجود حيوى يغشاه السواد عنـد قبض النفس ويعلوه الضوء والانبساط عند التنفس قال الشاعر:

حتى إذا الصبح لهـا تنفسـا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا هذا كلّه حول المقسم به، وأمّا المقسم عليه فهو قوله:(إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ

١ ـ لسان العرب: مادة كنس.

( ١۴٠ )

كَريم) .

الضمير فى قوله: ( إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَريم) يرجع إلى القرآن بدليل قوله: (لقولُ رَسُولٍ) والمراد من «رسول هو جبرئيل وكون القرآن قوله لا ينافى كونه قول اللّه إذ يكفى فى النسبة أدنى مناسبة وهى انّه أنزله على قلب سيد المرسلين. قال سبحانه: (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْريلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّه) (١) وقال : (نَزلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرين) . (٢)

ثمّ إنّه سبحانه وصفه بصفات ست:

١. رسول: يدل على وساطته فى نزول الوحى إلى النبى.

٢. كريم: عزيز بإعزاز اللّه.

٣. ذى قوة: «ذى قدرة وشدة بالغة، كما قال سبحانه: (عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى * ذُو مِرّةٍ فَاسْتَوى) . (٣)

۴.(عِنْدَ ذِى الْعَرش مَكين) : أى صاحب مكانة ومنزلة عند اللّه،وهى كونه مقرباً عند اللّه.

۵. مطاع:عند الملائكة فله أعوان يأمرهم وينهاهم.

۶. أمين: لا يخون بما أمر بتبليغه ما تحمّل من الوحى.

وعطف على جواب القسم قوله: (وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُون) (۴) والمراد هو

١ ـ البقرة:٩٧.

٢ ـ الشعراء:١٩٣ ـ ١٩۴.

٣ ـ النجم:۵ ـ ۶.

۴ ـ التكوير:٢٢.

( ١۴١ )

نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكأنّ صاحبه حلف بما حلف، للتأكيد على أمرين:

أ: القرآن نزل به جبرئيل.

ب: انّ محمّداً ليس بمجنون.

ثمّ إنّ الصلة بين المقسم به والمقسم عليه: هو انّالقرآن ـ المقسم عليه ـ حاله كحال هذه الكواكب الثوابت لديكم، فكما أنّ لهذه الكواكب، انقباض وجرى، وتراجع، فهكذا حال الناس مع هذا القرآن فهم بين منقبض من سماع القرآن، وجار وسار مع هداه، ومدبر عن هديه إلى العصر الجاهلى.

ثمّ إنّ القرآن أمام المستعدّين للهداية كالصبح فى إسفاره، فهو لهم نور وهداية، كما أنّ للمدبرين عنه، كالليل المظلم،وهو عليهم عمى ،واللّه العالم.

ثمّ إنّ فى اتهام أمين الوحى بالخيانة، والنبى الأعظم بالجنون، دلالة واضحة على بلوغ القوم القسوة والشقاء حتى سوّغت لهم أنفسهم هذا العمل، فزين لهم الشيطان أعمالهم.

وأخيراً نود الإشارة إلى كلمة قيمة لأحد علماء الفلك تكشف من خلالها عظمة تلك الكواكب والنجوم، حيث يقول: لا يستطيع المرء أن يرفع بصره نحو السماوات العلى إلّاويغضى إجلالاً ووقاراً، إذ يرى ملايين من النجوم الزاهرة الساطعة، ويراقب سيرها فى أفلاكها

وتنقلها فى أبراجها، وكلّنجم و أى كوكب، وكل سديم وأى سيار، إنّما هو دنياً قائمة بذاتها، أكبر من الاَرض وما فيها وما عليها وما حولها. (۱)

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث:۲۵.



## الفصل الحادى عشر

الفصل الحادى عشر القسم فى سورة الانشقاق

حلف سبحانه تبارك و تعالى بأُمور أربعة: الشفق ، والليل، وما وسق، و القمر، فقال: (فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ *وَاللَّيلِ وَما وَسَقَ * وَالقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ * فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ *وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرآنَ لا يَسْجُدُون) . (۱) تفسير الآيات الشفق: هو الحمرة بين المغرب والعشاء الآخرة، والمراد منه فى الآية الحمرة التى تبقى عند المغرب فى الاُفق، وقيل: البياض فيه.

والوسق: جمع المتفرق، يقال: وسقت الشىء إذا جمعته، ويسمى القدر المعلوم من الحمل كحمل البعير وسقاً، فيكون المعنى والليل و ما جمع وضمّ ممّا كان منتشراً بالنهار، وذلك انّ الليل إذا أقبل آوى كلّ شىء إلى مأواه،وربما يقال: بمعنى «ما ساق» لاَنّ ظلمة الليل تسوق كلّ شىء إلى مسكنه.

واتسق: من الاتساق بمعنى الاجتماع والتكامل فيكون المراد امتلاء القمر.

والطبق: الحال، والمراد لتركبنّ حالاً بعد حال، ومنزلاً بعد منزل،وأمراً بعد أمر_____.

۱ ـ الانشقاق:۱۶ ـ ۲۱.



وحاصل معنى الآيات:

لا أُقسم بالشفق،وقد ذكرنا حديث «لا» و انّ معنى الجملة هو الحلف ومعناه أقسم بالحمرة التى تظهر فى الاُفق الغربى عند بداية الليل وما يظهر بعد الحمرة من بياض والمعروف فى الشفق فى لسان الاُدباء هو الحمرة ولذلك يشبهون دماء الشهداء بالشفق غير انّه ربما يستعمل فى البياض الطارئ على الحمرة الذى هو آية ضعف الشفق ونهايته.

وأقسم بالليل لما فيه من آثار و أسرار عظيمة، فلولا الليل لما كان هناك حياة كالضياء، فكلّ من الليل والنهار دعامتا الحياة، قال سبحانه: (قُلْأَرَأَيْتُمْ إِنْ جعلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمداً إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُون * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرمداً إِلى يَومِ القِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيرُ اللّهِ يَأتِيكُمْ بِلَيلٍ تَسْكُنُون فيهِ أَفَلا تبصِرُون) . (۱)

ثمّ إنّه سبحانه أشار إلى ما يترتب على الليل والنهار من البركات، فقال: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُاللَّيلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون) (۲)ز، فخلق النهار لطلب الرزق والمعاش، كم البدن بالنوم فيه والسكن إليه وسيوافيك التفصيل فى الفصول القادمة إن شاء اللّه.

وأقسم بما وسق، أى بما جمع الليل، ولعلّه إشارة إلى عودة الإنسان والحيوانات والطيور إلى أوكارها عند حلول الليل، فيكون الليل سكناً عاماً للكائنات الحيّة_____.

۱ ـ القصص:۷۱ ـ ۷۲.

۲ ـ القصص:۷۳.

حلف بـالقمر عنـد اتسـاقه واكتمـاله فى الليالى الاَربع لما فيه من روعـة وجمال، ولـذلك يُشبَّه الجميل بالقمر، مضافاً إلى نوره الهادىَ الرقيق الذى يغطّى سطح الاَرض. وهو من الرقة واللطافة بمكان لا يكسر ظلمة الليل وفى الوقت نفسه ينير الطرق و الصحارى.

فهذه أقسام أربعة بينها ترتب خاص، فانّالشـفق أوّل الليل يطلع بعده القمر فى حالة البدر، فهذه الموضوعات الاَربع أُمور كونية يقع كلّ بعد الآخر حاكية عن عظمة الخالق.

وأمّـا المقسم عليه فهو قوله سـبحانه: (لَتَرْكَبُنَّ طَبقـاً عَنْ طَبَق) وهى إشـارة إلى المراحـل التى يمرّ بهـا الاِنسان فى حياته وأوضـحها هى الحياة الدنيوية ثمّ الموت ثمّالحياة البرزخية ثمّالانتقال إلى الآخرة ثمّ الحياة الاُخروية ثمّ الحساب والجزاء.

وفى هـذه الآيـة إلماع إلى ما تقدّم فى الآية السادسة من هذه السورة، أعنى قوله سـبحانه:(يا أَيُّهَا الاِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) . (۱)

والكدح بمعنى السعى والعناء يتضمن معنى السير.

فالآيـة تشـير إلى أنّ الحياة البشـرية تتزامن مع التعب والعناء، ولكن الغايـة منها هو لقاء اللّه سـبحانه، وكأنّ هذا الكدح باق إلى حصول الغاية ، أى لقاء جزائه من ثواب وعقاب أو لقاء اللّه بالشهود.

وأمّا وجه الصـلة وهو بيان انّ الاَشواط التى يمرّ بها الاِنسان اُمور مترتبـة متعاقبـة كما هو الحال فى المقسم به أعنى الشـفق الـذى يعقبه الليل الدامس ويليه ظهور القمر_____.

۱ ـ الانشقاق: ۶.



توضـيحه: انّ القرآن يحـدّث عن اُمور متتابعـة الوقوع وبـذات تسـلسل خاص فعندما تغيب الشـمس يظهر الشـفق معلناً عن بداية حلول الليل الـذى تتجه الكائنات الحيـة إلى بيوتها وأوكارها ثمّ يخرج القمر بدراً تاماً، فإذا كان المقسم به ذات اُمور متسلسـلة يأتى كلّ بعد الآخر فالطبقات التى يركبها الاِنسان مثل المقسم به مترتبـة متتاليـة فيبـدأ بالـدنيا ثمّ إلى عالم البرزخ ومنه إلى يوم القيامة ومنه إلى يوم الحساب.

وبـذلك يعلم وجه اسـتعجابه سـبحانه عن عـدم إيمانهم، حيث قال: (فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُون) فانّ هذا النظام الرائع فى الكون وحياة الاِنسان من صباه إلى شبابه ومن ثمّ إلى هرمه لدليل واضح على أنّ عالم الخلقة يدبر تحت نظر خالق مدبر عارف بخصوصيات الكون.

يقول أحد علماء الطبيعة فى هذا الصدد: إنّ جميع ما فى الكون يشهد على وجود اللّه سبحانه ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم ـ نحن العلماء ـ بتحليل ظواهر هذا الكون ودراسـتها، حتى باسـتخدام الطريقة الاسـتدلالية، فانّنا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادى اللّه وعظمته. ذلـك هو اللّه الـذى لا نسـتطيع أن نصل إليه بالوسائل العلميـة الماديـة وحـدها، ولكننا نرى آياته فى أنفسـنا وفى كلّذرة من ذرات هذا الوجود. (۱)

---

۱ ـ اللّه يتجلى فى عصر العلم: ۲۶.



## الفصل الثانى عشر

الفصل الثانى عشر القسم فى سورة البروج

حلف سبحانه فى سورة البروج بأُمور أربعة:

أ: (السَّماءُذات البُرُوج) : المنازل.

ب: (اليوم المَوعُود) : القيامة.

ج: شاهد

د: مشهود.

قال سبحانه:(وَالسَّماءِ ذاتِ البُروجِ *وَاليَومِ المَوعُودِ *وشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصحابُالأُخدُودِ * النارِ ذاتِ الوَقُودِ *إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ *وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُوَمِنينَ شُهُودٌ * وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّأَنْ يُوْمِنُوا بِاللّهِ العَزيزِالحَمِيد) . (۱)

فأقسم سبحانه بالعالم العلوى وهو السماء وما فيها من المنازل التى هى أعظم الأمكنة وأوسعها ثمّ أقسم بأعظم الأيّام وأجلّها الذى هو مظهر ملكه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه، ومجمع أوليائه وأعدائه والحكم بينهم بعلمه وعدل.

ثم أقسم بكلّ شاهد ومشهود ـ إذا كان اللام للجنس ـ فيكون المراد كلّ مدرِك ومدرَك وراع ومرعى، والمصداق البارز له هو النبيالذى سمّى شاهداً كما سيوافيك، كما أنّ المصداق البارز للمشهود هو يوم القيامة، فلنرجع إلى تفسير الآيات.

---

۱ ـ البروج:۱ ـ ۸.

( ۱۴۷ ) تفسير الآيات أمّا السماء: فكلّ شيء علاك فهو سماء، قال الشاعر فى وصف فرسه:

واحمر كالديباج أمّا سماوَه * فريّاً وأمّا أرضه فمحول وقال بعضهم كلّ سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء، وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض وسمى المطر سماءً لخروجه منها.

وأمّا البروج واحدها برج ويطلق على الأمر الظاهر وغلب استعماله فى القصر العالى لظهوره على الناظرين، ويسمّى البناء المعمول على سور البلد للدفاع برجاً، والمراد هنا مواضع الكواكب من السماء.

وربما يفسر بالمنازل الاثنى عشر للقمر، لأنّ القمر يصير فى كلّبرج يومين وثلث يوم، وذلك ثمانية وعشرون يوماً، ثمّ يستتر ليلتين ثمّ يظهر.

وربما يفسر بمنازل الشمس فى الشمال والجنوب، ولكن الأولى ما ذكرناه منازل النجوم على وجه الإطلاق.

واليوم الموعود عطف على السماء وهو يوم القيامة الذى وعد اللّه سبحانه أن يجمع فيه الناس ويوم الفصل والجزاء الذى وعد اللّه به على ألسنة رسله وفيه يتفرد ربّنا بالملك والحكم.

وقد وعد اللّه سبحانه به فى القرآن الكريم غير مرّة وقال:

(وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقين) . (۱_____)

۱ ـ يونس:۴۸.

( ۱۴۸ )

وقال: (أَلا إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلكِنّ أَكْثَرهُمْ لا يَعْلَمُون) . (۱)

وقال تعالى: (وَكَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنّوَعْدَ اللّهِ حَقّ) . (۲)

إلى غير ذلك من الآيات التى سمّى اللّه سبحانه فيها ذلك اليوم بوعد اللّه.

وشاهد ومشهود، اللفظان معطوفان على السماء والجميع قسم بعد قسم، وأمّا ما هو المقصود؟ فالظاهر انّ الشاهد هو من عاين الأشياء وحضرها،وأوضحه مصداقاً هو النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه سبحانه وصفه بكونه شاهداً، قال: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَداعِياً إِلى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنيراً) . (۳)

نعم تفسيره بالنبى الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) من باب الجرى والتطبيق على أفضل المصاديق وإلاّ فله معنى أوسع، يقول سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللّه عَمَلكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيبِ وَالشَّهادةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُون) (۴) فقد عدّ

المؤمنين شهوداً على الأعمال، فإنّ الغاية من الرؤية هو الشهود.

وتدل الآيات على أنّ نبى كلّأُمّة شاهد على أُمّته، قال سبحانه:(وَإِنْ مِنْ أَهْلِالكِتابِ إِلّالَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَومَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً) . (۵)

وأمّا المشهود فالمراد منه يوم القيامة، لأنّه من صفات يومها، قال سبحانه:

---

۱ ـ يونس:۵۵.

۲ ـ الكهف:۲۱.

۳ ـ الأحزاب:۴۵.

۴ ـ التوبة:۱۰۵.

۵ ـ النساء:۱۵۹.



(ذلِكَ يَومٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاسُ وَذلِكَ يَومٌ مَشْهُود) (۱) والمراد به ( ذلك يوم مجموع له الناس) أى يجمع فيه الناس كلّهم الأوّلون والآخرون منهم للجزاء والحساب والهاء فى له راجعة إلى اليوم (وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُود) أى يشهده الخلائق كلّهم من الجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض أى يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفى هذا دلالة على إثبات المعاد وحشر الخلق. (۲)

هذا كلّه حول المقسم به، وأمّا المقسم عليه فيحتمل أن يكون أحد أمرين:

أ: (قُتِلَ أَصحابُالأُخْدُود) وفسره بقوله:(النّارِ ذات الوقُود) أى أصحاب الأُخدود هم أصحاب النّار التى لها من الحطب الكثير ما يشتد به لهيبها، ويكون حريقها عظيماً، ولهيبها متطايراً.

ثمّأشار إلى وصف آخر لهم(إِذْ هُمْ عَلَيها قُعُود) أى أحرقوا المؤمنين بالنار وهم قاعدون حولها يشرفون عليهم وهم يعذبون بها ويوضحه قوله فى الآية اللاحقة: (وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُود) أى أُولئك الجبابرة الذين أحرقوا المؤمنين كانوا حضوراً عند تعذيبهم يشاهدون ما يُفعل بهم، وفى هذا إيماء إلى قسوة قلوبهم، كما فيه إيماء إلى قوة اصطبار المؤمنين وشدّة جلدهم ورباطة جأشهم.

وأمّا الصلة بين ما حلف به من السماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وجواب القسم فهى انّه سبحانه حلف بالسماء ذات البروج والبروج آية الدفاع حيث كان أهل البلد يدافعون من البروج المبنية على سور البلد عن بلدهم، قال سبحانه: (وَلَقَدْجَعَلْنا فِى السَّماءِبُرُوجاً وَزَيَّنّاها لِلنّاظرين *وَحَفِظْناها مِنْ كُلّ

---

۱ ـ هود:۱۰۳.

۲ ـ مجمع البيان:۵|۱۹۱.



شَيطانٍ رَجِيم) . (۱)

فحلف سبحانه بالسماء ذات البروج فى المقام مبيناً بأنّ اللّه الذى كما يدفع بالبروج عن السماء كيد الشياطين كذلك يدفع عن إيمان المؤمنين كيد الشياطين وأوليائهم من الكافرين.

ثمّ أقسم باليوم الموعود الذى يجزى فيها الناس بأعمالهم فهو يجزى أصحاب الأُخدود بأعمالهم، وأقسم بالشاهد الذى يشاهد أعمال الآخرين، وأقسم بمشهود أى كل ما يشهده الشاهد وهو انّه سبحانه تبارك وتعالى يعاين أعمالهم ويشاهدها.

ويمكن أن يكون جواب القسم، قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيق *إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ذلِكَ الْفَوزُ الكَبِير ) . (۲)

فاللّه سبحانه يوعد الكفّار ويعد المؤمنين.

وأمّا وجه الصلة فواضح أيضاً بالنسبة إلى ما ذكرنا فى الوجه الأوّل، ويحتمل أن يكون الجواب قوله: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد *إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيد) (۳)

والمناسبة تلك المناسبة فلا نطيل.

ويحتمل أن يكون الجواب محذوفاً يدل عليه الآيات المتقدمة، والمحذوف كالتالى:

إيعاد الفاتنين ووعد المؤمنين وهكذا_____.

۱ ـ الحجر:۱۶ـ ۱۷.

۲ ـ البروج:۱۰ـ ۱۱.

۳ ـ البروج: ۱۲ـ ۱۳.



## الفصل الثالث عشر

الفصل الثالث عشر القسم فى سورة الطارق

حلف سبحانه بأمرين: بالسماء والطارق، ثمّ فسر الطارق بالنجم الثاقب، حلف بهما بغية دعوة الناس إلى الإذعان بأنّ لكلّ نفس حافظ.

قال سبحانه: (وَالسَّماءِ وَالطّارِقِ *وَما أَدْراكَ مَا الطّارِقُ *النَّجْمُ الثاقِبُ * إِنْكُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظ) . (۱)

أمّا السماء فقد مرّ البحث فيه، والطارق من الطرق ويسمّى السبيل طريقاً، لأنّه يطرق بالأرجل أى يضرب، لكن خصّ فى العرف بالآتى ليلاً، فقيل انّه طرق أهله طروقاً، وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل.

النجم الثاقب والثاقب الشىء الذى يثقب بنوره وإصابته مايقع عليه، قال سبحانه: (فأَتْبَعهُشِهابٌ ثاقِب) . (۲)

(إِنْكُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظ) فلفظة (لما) بمعنى إلاّ ـ نظير قوله سبحانه:(وإِنَّ كُلاًّ لَمّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعمالَهُم) (۳) ونظيره قولك: «سألتك باللّه لما فعلت_____».

۱ ـ الطارق:۱ـ ۴.

۲ ـ الصافات:۱۰.

۳ ـ هود:۱۱۱.



والمراد من حافظ هم الموكلون على كتابة أعمال الإنسان حسنها وسيئها، يحاسب عليها يوم القيامة ويجزى بها فالحافظ هو الملك والمحفوظ هو العمل، قال تعالى:(وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ * كِراماً كاتِبِين * يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُون) (۱) ويحتمل أن يراد من حافظ هو القوة الحافظة للإنسان من الموت وفساد البدن ولعلّه إليه يرشد قوله سبحانه: (وَهُوَ القاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ وَيُرْسِلُعَلَيْكُمْ حَفَظَة) . (۲)

والقوى الظاهرية والمادية والمعنوية التى هى من جنود ربنا والتى وكّلت لحفظ الإنسان من الشر إلى أن ينقضى عمره، هم الحفظة، ولكن المعنى الأوّل هو الأنسب.

بقى هنا أمران:

الأوّل: انّ المراد من النجم الثاقب هو كوكب زحل، فانّه من أبعد النجوم فى مجموعتنا الشمسية التى يمكن رؤيتها بالعين المجردة

وقيل لزحل عشرة أقمار يمكن روَية ثمانية منها بالناظور العادى.

ولا يمكن روَية الآخرين إلّا بالنواظير الكبيرة، والظاهر انّ المراد مطلق النجم الذى يثقب ضوءه وإن كان زحل من أظهر مصاديقه.

وأمّا المقسم عليه فهو قوله:(إِنْ كُلّ نَفْسٍ لَمّا عَليها حافِظ) .

وأمّا الصلة بينهما بالنحو التالى:

هو انّ السماء العالية والنجوم التى تتحرك فى مدارات منظمة دليل النظم والحساب الدقيق، فليعلم الاِنسان بأنّ أعماله أيضاً تخضع للحساب الدقيق، فانّ

---

١ ـ الانفطار : ١٠ ـ ١٢.

٢ ـ الَانعام: ٦١.



هناك من يحفظ أعماله ويسجّلها إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر، وانّها لمسوَولية عظيمة يحملها الاِنسان، إذ ما من أحد إلّا وهو مراقب، تكتب عليه كلّ أعماله من المهد إلى اللحد، فليس من شىء يضيع فى هذه الدنيا أبداً. هذا إذا قلنا بأنّ المراد من حافظ هو حافظ الَاعمال، وأمّا إذا فسرت من يحفظ الاِنسان من الحوادث والمهالك، فالصلة بالنحو التالى:

وهو انّ للنفوس رقيباً يحفظها ويدبر شوَونها فى جميع أطوار وجودها حتى ينتهى أجلها، كما أنّ للسماء مدبراً لشوَونها بما تحتويه من أنظمة رائعة ومعقدة، فالفضاء الكونى فسيح جداً تتحرك فيه كواكب لا حصر لها، بسرعة خارقة، بعضها يواصل رحلته وحده، ومنها أزواج تسير مثنى مثنى، ومنها ما يتحرك فى شكل مجموعات، والكواكب على كثرتها يواصل كلّ واحد منها سفره على بُعد عظيم يفصله عن الكواكب الاُخرى.

إنّ هذا الكون يتألف من مجموعات كثيرة من الكواكب والنجوم تسمّى مجاميع النجوم، وكلّها تتحرك دائماً وتدور فى نظام رائع.

ومع هذا الدوران تجرى حركة أُخرى وهى انّ هذا الكون يتسع من كلّجوانبه، كالبالون المتخذ من المطاط، وجميع النجوم تبتعد فى كلّ ثانية بسرعة فائقة عن مكانها، هذه الحركة المدهشة تحدث طبقاً لنظام وقواعد محكمة بحيث لا يصطدم بعضها ببعض ولا يحدث اختلاف فى سرعتها. (١_____)

١ ـ الاِسلام يتحدى: ٥٨.

## الفصل الرابع عشر

الفصل الرابع عشر القسم فى سورة الفجر

حلف سبحانه فى سورة الفجر بأُمور خمسة:

١. الفجر، ٢. ليال عشر، ٣. الشفع، ٤. الوتر، ٥. الليل إذا يسر

وقال: (وَالْفَجْرِ * وَلَيالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفعِ وَالْوَتْرِ * واللَّيلِ إِذا يَسْرِ * هَلْ فى ذلِكَ قَسَمٌ لِذى حِجْر ). (١) تفسير الآيات اختلف المفسرون فى تفسير هذه الَاقسام إلى أقوال كثيرة، غير انّ تفسير القرآن بالقرآن يدفعنا إلى أن نفسره بما ورد فى سائر الآيات.

أمّا الفجر: فهو فى اللغة، كما قال الراغب: شق الشىء شقاً، قال سبحانه: (وَفَجَّرنا الَارض عُيُوناً) وقال:(وَفجّرنا خلالها نَهْراً) ومنه قيل للصبح، الفجر لكونه يفجر الليل، وقد استعمل الفجر بصورة المصدر فى فجر الليل، قال: (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْس إِلى غَسَقِ اللَّيل وَقُرآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً) (٢)

.، وقال سبحانه: (حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيطُ الَابْيَضُ مِنَ الْخَيْطِالَاسْوَد مِنَ الْفَجْرِثُمَّ

---

۱ ـ الفجر:۱ـ ۵.

۲ ـ الإسراء:۷۸.

( ۱۵۵ )

أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيل) (۱) وقال سبحانه: (سَلامٌ هِيَ حَتّى مَطْلَعِالْفَجْ(۲) ) .

وعلى ضوء هذا فلو كان اللام للجنس، فهو محمول على مطلق الفجر، أعنى: انفجار الصبح الصادق، وإن كان مشيراً إلى فجر ليل خاص فهو يتبع القرينة، ولعلّ المراد فجر الليلة العاشرة من ذى الحجة الحرام.

( وليال عشر ) فقد اختلف المفسرون فى تفسير الليالى العشر، فذكروا احتمالات ليس لها دليل.

أ: الليالى العشر من أوّل ذى الحجة إلى عاشرها، والتنكير للتفخيم.

ب: الليالى العشر من أوّل شهر محرم الحرام.

ج: العشر الأواخر من شهر رمضان وكلّمحتمل، ولعل الأوّل أرجح.

وأمّا الشفع: فهو لغة ضمّ الشىء إلى مثله،فلو قيل للزوج شفع، لأجل انّه يضم إليه مثله، والمراد منه هو الزوج بقرينة قوله والوتر، وقد اختلفت كلمتهم فيما هو المراد من الشفع والوتر.

۱. الشفع هو يوم النفر ، والوتر يوم عرفة وإنّما أقسم اللّه بهما لشرفهما.

۲. الشفع يومان بعد النحر ، والوتر هو اليوم الثالث.

۳. الوتر ما كان وتراً من الصلوات كالمغرب والشفع ما كان شفعاً منها.

إلى غير ذلك من الأقوال التى أنهاها الرازى إلى عشرين وجهاً، ويحتمل أن يكون المراد من الوتر هو اللّه سبحانه، والشفع سائر الموجودات_____.

۱ ـ البقرة:۱۸۷.

۲ ـ القدر:۵.

( ۱۵۶ )

(وَاللّيل إذا يَسر ) : أمّا الليل فمعلوم، وأمّا قوله يسر ، فهو من سرى يسرى فحذف الياء لأجل توحيد فواصل الآيات، ويستعمل الفعل فى السير فى الليل، كما فى قوله سبحانه: (سُبْحانَ الّذى أَسرى بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الحَرامِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقصى) (۱) ،فالليل ظرف والسارى غيره، ولكن الآية نسبت الفعل إلى نفس الليل فكأنّ الليل موجود حقيقى له سير نحو الأمام فهو يسير إلى جانب النور، فاللّه سبحانه حلف بالظلام المتحرك الذى سينجلى إلى نور النهار.

مضافاً إلى ما فى الليل من عظائم البركات التى لا تقوم الحياة إلّابها.

هذا ما يرجع إلى مجموع الآية ونعود إلى الآيات بشكل آخر، فنقول: امّا الفجر فقد حلف به سبحانه بصورة أُخرى أيضاً، وقال: (وَالصُّبح إِذا أَسفَرَ ) (۲)

وقال تبارك وتعالى: (وَالصُّبح إِذا تَنَفَّس(۳))، والمراد من الجميع واحد، فإنّ إسفار الصبح فى الآية الأُولى هو طلوع الفجر الصادق، فكأنّ الصبح كان مستوراً بظلام الليل، فهو رفع الستار وأظهر وجهه، ولذلك استخدم كلمة أسفر يقال: أسفرت المرأة: إذا رفع حجابها.

ويعود سبب تعاقب الليل والنهار إلى دوران الأرض حول الشمس، فبسبب كرويّتها لا تضيئ الشمس سائر جهاتها فى آن واحد بل تضيئ نصفها فقط ويبقى النصف الآخر مظلماً حتى يحاذى الشمس بدوران الأرض فيأخذ حظه من الاستنارة، وتتم الأرض هذه

الدورة فى أربعة وعشرين ساعة.

كما أنّ المراد من الآية الثانية أعنى: (والصبح إِذا تَنَفَّس) هو انتشار نوره،

---

١ ـ الإسراء:١.

٢ ـ المدثر:٣۴.

٣ ـ التكوير:١٨



فعبّر عنه بالتنفّس، فكأنّه موجود حى يبث ما فى نفسه إلى الخارج، أمّا عظمة الفجر فواضحة، لَانّ الحياة رهن النور، وطلوع الفجر يثير بارقة الأمل فى القلوب حيث تقوم كافة الكائنات الحية إلى العمل وطلب الرزق.

وأمّا الليالى العشر فهى عبارة عن الليالى التى تنزل فيها بركاته سبحانه إلى العباد، سواء فسرت بالليالى العشر الأُولى من ذى الحجّة أو الليالى العشر من آخر شهر رمضان. فالليل من نعمه سبحانه حيث جعله سكناً ولباساً للإنسان وقال: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً) (١) كما جعله سكناً للكائنات الحية حيث ينفضون عن أنفسهم التعب والوصب، قال سبحانه: (فالِقُ الإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً). (٢)

وأمّا الشفع والوتر، فقد جاء مبهماً وليس فى القرآن ما يفسر به فينطبق على كلّ شفع ووتر، وبمعنى آخر يمكن أن يراد منه صحيفة الوجود من وتره كاللّه سبحانه وشفعه كسائر الموجودات.

وأمّا قوله: (واللَّيل إِذا يسر ) أقسم بالليل إذا يمضى ظلامه، فلو دام الليل دون أن ينجلى لزالت الحياة، يقول سبحانه: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ ان جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْل سَرْمداً إِلى يَوم القِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهِيَأْتِيكُمْ بِضياءٍ أَفَلا تسْمَعُون) . (٣)

فتبين مما سبق منزلة المقسم به فى هذه الآيات وانّها تتمتع بالكرامة والعظمة. وأمّا المقسم عليه فيحتمل وجهين:

أحدهما: انّه عبارة عن قوله سبحانه: (إِنَّ رَبّكَ لَبِالْمِرصاد).(۴)

---

١ ـ النبأ:١٠.

٢ ـ الأنعام:٩۶.

٣ ـ القصص:٧١.

۴ ـ الفجر:١۴.



ثانيهما: انّ المقسم عليه محذوف يعلم من الآيات التى أعقبت هذه الاقسام، قال سبحانه: (أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ * إِرَمَ ذاتِ الْعِماد * الّتى لَمْ يُخْلَق مِثْلُها فِى البِلاد * وَثَمُودَ الّذِينَ جابُوا الصَّخرَ بِالواد * وَفِرْعَونَ ذِى الأَوتاد * الَّذينَ طَغَوْا فِى البِلاد * فَأَكْثَروا فِيهَا الفَسادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبّكَ سَوطَ عَذابٍ * إِنَّ رَبّكَ لَبِالْمِرصاد) . (١)

فالمفهوم من هذه الآيات انّه سبحانه حلف بهذه الأقسام بغية الإيعاد بأنّه يعذب الكافرين والطاغين والعصاة كما عذب قوم عاد وثمود، فالإنسان العاقل يعتبر بما جرى على الأُمم الغابرة من إهلاك وتدمير.

أمّا وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فهو: انّ من كان ذا لبٍّ، علم أنّ ما أقسم اللّه به من هذه الأشياء فيه دلائل على قدرته وحكمته، فهو قادر على أن يكون بالمرصاد لأعمال عباده فلا يعزب عنه أحد ولا يفوته شىء من أعمالهم لأنّه يسمع ويرى جميع أقوالهم وأفعالهم خصوصاً بالنظر إلى ما أدَّب به قوم عاد وثمود مع ما كان لهم من القوة والمنعة.

---

۱ ـ الفجر:۶ـ ۱۴.

( ۱۵۹ )

## الفصل الخامس عشر

الفصل الخامس عشر القسم فى سورة البلد

حلف سبحانه فى سورة البلد بأُمور أربعة: البلد ، و من حلّ فيه ، ووالد ، وما ولد، وقد حلف بالثانى كناية وبما سواه تصريحاً، قال سبحانه:(لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذا البَلَدِ * وَوالِدٍ وَما وَلَدَ * لَقَدْخَلَقْنَا الإِنْسان فى كَبَد). (۱) تفسير الآيات حلف فيها سبحانه بمكة المكرمة كما حلف بالنبى «صلى الله عليه وآله وسلم» الحالِّ فيها ، ومقتضى التناسب بين الاَقسام أن يكون المراد من الوالد والولد، هو إبراهيم وإسماعيل اللذان بنيا البيت، ودعا إبراهيم كلّراكب وراحل إلى زيارته.

أمّا الحلف الاَوّل فواضح، لاَنّ البيت مركز للتوحيد ولعبادة اللّه سبحانه، وهو مطاف أنبياء اللّه العظام وأوليائه، فقد بلغ من المكانة مرتبة صلح أن يحلف به سبحانه، كيف وقد قال سبحانه فى حق البيت: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنّاسِلَلَّذى بِبَكَّةَ مُباركاً وهُدًى لِلْعالَمين). (۲) قال سبحانه: (وَإِذْجَعَلْنَا الْبَيْت مثابَةً لِلنّاسِ وَأَمْناً) (۳) وقال: (جَعَلَ اللّهُ

---

۱ ـ البلد:۱ـ ۴.

۲ ـ آل عمران:۹۶.

۳ ـ البقرة:۱۲۵.

( ۱۶۰ )

الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ) (۱) فلو حلف بالبلد، فإنّما لاَجل احتضانه أشرف بيوت اللّه، ويزيد على شرفه انّ النبى الخاتم، قطين هذا البلد، ونزيله، فزاده شرفاً على شرف،والحل هو الساكن.

وبذلك يعلم أنّ ذكره (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا النحو هو فى الواقع حلف ضمنىّ به.

وهذا التفسير مبنى على أنّ المراد من الحلِّ هو نزول النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بهذا البلد، ولكن ربما يفسر بالمستحلّ، أى من استحلت حرمته وهتكت كرامته، وعند ذلك ينقلب معنى الآية إلى شىء آخر، ويكون معناها هو: لا أُقسم بهذا البلد المقدّس حال انّك مهتوك الحرمة والكرامة، ويكون توبيخاً وتقريعاً لكفّار قريش حيث إنّهم يحترمون البلد، ولا يحترمون من حلَّ فيه أشرف الخليقة.

وعلى ذلك فيكون «لا» فى (لا أُقسمُ) بمعنى النفى لا الزيادة، ولا بمعنى نفى شىء آخر على ما قدمناه فى تفسير سورة الواقعة.

يقول الزمخشرى: أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أنّ الإنسان خلق مغموراً فى مكابدة المشاق والشدائد، واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذا الْبَلَد) يعنى: ومن المكابدة أنّمثلك على عظم حرمتك يُستحل بهذا البلد الحرام، كما يُستحلّ الصيد فى غير الحرم، عن شرحبيل يحرّمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك، وفيه تثبيت من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته. (۲)

وقال الطبرسى: معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّفيه منتهك الحرمة

---

۱ ـ المائدة:۹۷.

۲ ـ الكشاف:۳|۳۳۸.

( ۱۶۱ )

مستباح العرض لا تحترم، فلم يبق للبلد حرمة حيث هتكت حرمتك ، قال وهو المروى عن أبى مسلم كما روى عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) ، قال: كانت قريش تعظم البلد وتستحل محمداً فيه، فقال: لا أُقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد يريد انّهم استحلوك فكذبوك وشتموك، وكان لا يأخذ الرجل منهم قاتل أبيه فيه ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليده إيّاه فاستحلوا من رسول اللّه مالم يستحلوا من غيره فعاب اللّه ذلك عليهم. (۱)

ثمّ حلف بوالد وما ولد وللمفسرين فى تفسيره أقوال أوضحها بأنّ الوالد هو إبراهيم الخليل والولد إسماعيل الذبيح وهذا يتناسب مع القسم بمكة، لأنّ الوالد والولد هما رفعا قواعد البيت.

وأمّا تفسيرها بآدم وذريته، أو آدم والأنبياء، أو آدم وكلّ من ولد عبر القرون تفسير بعيد.

هذا كلّه حول القسم، وأمّا المقسم عليه، فقوله سبحانه:(لَقَدْخَلَقْنَا الإِنْسانَ فى كَبَد). (۲)

والكبد فى اللغة شدّة الأمر ومنه تكبد البلد إذا غلظ واشتد، ومنه الكبد للإنسان ،لأنّه دم يغلظ ويشتد، وتكبّد البلد: إذا صار كالكبد، ومعنى الآية واضح، فانّ الإنسان منذ خلق إلى أن أدرج فى أكفانه لم يزل يكابد أمراً فأمراً، فمن حمله وولادته ورضاعه وفطامه وشبابه وكماله وهرمه كذلك محفوف بالتعب والوصب، يقول الشاعر_____:

۱ ـ مجمع البيان:۵|۴۹۳.

۲ ـ البلد:۴.

( ۱۶۲ )

يا خاطب الدنيا الدَّنيّ * ـة إنّها شَرَكُ الرَّدى

دارٌ متى ما أضحكت * فى يومها أبكت غدا

وإذا أظلَّ سحابها * لم ينتقع منه صدى

غاراتُها ما تنقضى * وأسيرها لا يُفتدى (۱) ويرثى التهامى ولده فى قصيدة معروفة مبتدئاً بوصف الدنيا، ويقول:

حكم المنية فى البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يُرى الإنسان فيها مخبراً * حتى يرى خبراً من الاخبار

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقدار والاكدار

ومكلِّف الأيام ضدَّ طباعها * متطلب فى الماء جذوةَ نار

وإذا رجوت المستحيل فإنّما * تبنى الرجاء على شفير هار

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار (۲)

---

۱ ـ مقامات الحريرى:۲۲۵، المقامة الثالثة والعشرون الشعرية.

۲ ـ شهداء الفضيلة: ۲۶.

( ۱۶۳ )

رحم اللّه شيخنا الوالد آية اللّه الشيخ محمد حسين السبحانى (۱۲۹۹ـ۱۳۹۲هـ) فقد كان فى أواخر أيام عمره طريح الفراش فزارته ابنته «فاطمة» وكنت أرافقها فسألناه عن حاله فأنشدَ بيتاً من لامية العجم للطغرائى وقال:

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل أمّا الكلام حول الدنيا ومصاعبها وما احتضنت من التعب والوصب، فيكفى فى ذلك قراءة خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ننقل منها هذه الشذرات:

«أمّا بعد، فإنّى أحذركم الدنيا، فإنّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وتحبّبت بالعاجلة. وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكّالة غوّالة، لا تعدو ـ إذا تناهت إلى أُمنية أهل الرغبة فيها والرضاء(الرضى) بها ـ أن تكون كما قال اللّه تعالى سبحانه: (كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْض فَأَصْبَحَهَشيماً تَذروهُ الرياح وَكانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَىءٍ مُقتدراً) (۱) لم يكن امروٌ ومنها فى حبرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق فى سرّائها بطناً، إلاّمنحته من ضرّائها ظهراً.

(۲)وقال (عليه السلام) فى خطبة أُخرى:

«ألا ـ وإنّ الدنيا قد تصرَّمت، وآذنت بانقضاء، وتنكَّر معروفها، وأدبرت حذّاء، فهى تحفز بالفناء سكّانها(ساكنيها)، وتحدو بالموت جيرانها، وقد أمرّ فيها ما كان حلواً، وكدر منها ما كان صفواً، فلم يبق (تبق) منها إلاّسملة كسملة الإداوة أو جرعة كجرعة المقلة، لو تمزّزها الصّديان لم ينقع. فأزمعوا عباد اللّه الرحيل عن

---

۱ ـ الكهف:۴۵.

۲ ـ نهج البلاغة، الخطبة: ۱۱۱.



هذه الدار المقدور على أهلها الزّوال، ولا يغلبنّكم فيها الأمل، ولا يطولنّ عليكم فيها الأمد». (۱)

يقول العلاّمة الطباطبائى: فليس يقصد نعمة من نعم الدنيا إلاّخالصة فى طيبها، محضة فى هنائها، ولا ينال شيئاً منها إلاّ مشوبة بما ينغص العيش مقرونة بمقاساة ومكابدة، مضافاً إلى ما يصيبه من نوائب الدهر ويفاجئه من طوارق الحدثان. (۲)

وربّما ينظر الإنسان إلى من هو فوقه لا سيما الذين يتمتعون بالغنى والرفاه، فيخطر على باله أنّ حياة هؤلاء غيرمشوبة بالكد والتعب، ولكنّ هذا التصوّر غير صائب إذ أنّ تعبهم وكدّهم أكثر بمراتب من الذين هم دونهم.

وأمّا الصلة بين المقسم به(والد وما ولد) والمقسم عليه (لقد خلقنا الإنسان فى كبد)، واضحة، إذ لم تزل حياة إبراهيم وولده مقرونة بالتعب والوصب، إذ ولد وقد أمضى صباه فى الغاب خوفاً من بطش الجهاز الحاكم، وبعد ما خرج منها وله من العمر ۱۳ سنة أخذ يكافح الوثنيين وعبّاد الأجرام السماوية، إلى ان حكم عليه بالرمى فى النار والإحراق، فنجّاه اللّه سبحانه، فلم يجد بداً من مغادرة الوطن والهجرة إلى فلسطين ولم يزل بها حتى أُمر بإيداع زوجه وابنه فى بيداء قاحلة لا ماء فيها ولا زرع، يحكى سبحانه تلك الحالة عن لسان إبراهيم (عليه السلام) ويقول: (رَبَّنا إِنّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتى بِوادٍغَيْر ذى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْأَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). (۳_____)

۱ ـ نهج البلاغة، الخطبة: ۵۲.

۲ ـ الميزان:۲۰|۲۹۱.

۳ ـ إبراهيم:۳۷.

## الفصل السادس عشر

الفصل السادس عشر القسم فى سورة الشمس

حلف سبحانه تبارك و تعالى فى سورة الشمس إحدى عشرة مرّة بتسعة أشياء. (۱)

۱. الشمس، ۲. ضحى الشمس، ۳. القمر، ۴. النهار، ۵. الليل، ۶. السماء، ۷. وما بناها، ۸. الأرض، ۹. وما طحاها، ۱۰. ونفس، ۱۱. وما سوّاها.

وبما أنّ المراد من الموصول فى الجمل الثلاث الاَخيرة هو اللّه سبحانه فيكون المقسم به تسعة، والاَقسام إحدى عشرة ، قال سبحانه: (وَالشَّمْسِ وَضُحاها * وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها * وَالنَّهارِ إِذا جَلّاها * وَاللَّيلِ إِذا يَغْشاها * وَالسَّماء وَما بَناها * وَالاَرْضِ وَما طَحاها * وَنَفْسٍ وَما سَوّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها * قَدْأَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْخابَمَنْدَسّاها). (۲) تفسير الآيات ۱، ۲. (الشمس وضحاها) ، حلف بالنيّر الكبير الذى له دور هام فى استقرار الحياة على الاَرض وهو مصدر للنور والحرارة، إلى غير ذلك من

---

۱ ـ وما فى تفسير الرازى من أنّه تعالى قد أقسم بسبعة أشياء غير صحيح ولعلّهأسقط قوله :(وضحاها) والموصول كلّه عن القسم. «انظر تفسير الفخر الرازى:۳۱|۱۸۹».

۲ ـ الشمس:۱ـ۱۰.



المعطيات، وهو سلطان منظومتنا، وله حركة انتقالية وحركة وضعية، ويعجز البيان واللسان عن بيان ماله من الاَهمية، ويكفيك هذا الاَثر انّه ينتج فى كلّدقيقة ۲۴۰ مليون وحدة طاقة، ولم تزل ترفد بهذا العطاء على الرغم من أنّ عمرها يتجاوز الخمسة آلاف مليون سنة.

هذه الشمس التى ما زالت أسرارها فى الخفاء، هى محور نظامنا السيّارى ومصدر حياتنا أيضاً، هذه الشمس التى كلّ ما يكتشف عنها يزيدها غموضاً، ولم تزح يد العلم بعد النقاب عن كلّ ما يجب أن نعلمه عن الشمس، هذه الشمس التى تفقد أربعة ملايين طن من وزنها فى الثانية من احتراقها، ولم تزل تجدّد وزنها وحجمها، والتى تبعث إلى العالم الخارجى طاقة تعادل خمسة آلاف بليون قنبلة ذرية فى كلّ ثانية، وهى آية من آيات الخالق، وإن هى إلّا آية صغيرة تزخر السماء بملايين من النجوم أضخم منها حجماً وأكبر سرعة وأكثر تألّقاً. (۱)

كما حلف بضحى الشمس، وهو انبساط الشمس وامتداد النهار، والاَولى أن يقال الضحى هو انبساط نورها وضوئها، فانّ لضوئها أثراً خاصاً فى نشوء الحياة وبقائها والفتك بالاَمراض وزوالها.

۳. (وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها) حلف بالقمر إذا تلا الشمس فى الليالى البيض من الليلة الثالثة عشرة من الشهر إلى السادسة عشرة منه، وقت امتلائه أو قربه من الامتلاء حين يضيئ الليل كلّه من غروب الشمس إلى الفجر.

وفى الحقيقة هذا حلف بالقمر وضوئه فانّ ضوء القمر إنّما ينتشر ، إذا تلا الشمس وظهر بعد غروبها.

وربما يقال بأنّ المراد تبعية القمر للشمس فى تمام الشهر، لاَنّ نوره مأخوذ

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث:۳۰.



من نور الشمس فهو يتبعها فى جميع الاَزمان، ولكن المعنى الاَوّل هو اللائح.

۴.(وَالنّهارِ إِذا جَلّاها) التجلى من الجلو بمعنى الكشف الظاهر، يقال: أجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنها أى أبرزتهم عنها، وعلى ذلك فحلف سبحانه بالنهار إذا جلا الاَرض وأظهرها، والضمير يعود إلى الاَرض المفهوم من سياق الآية، ويحتمل أن يرجع الضمير إلى الشمس، فانّ النهار كلّما كان أجلى ظهوراً كانت الشمس أكمل وضوحاً، أى احلف بالنهار إذا جلّى الشمس وأظهرها.

ولكن المعنى الاَوّل هو الظاهر، لاَنّ الشمس هى المظهرة للنهار، دون العكس.

۵.(وَاللَّيلِ إِذا يَغْشاها) حلف بالليل إذا غطّى الاَرض وسترها فى مقابل الشمس إذاجلا الاَرض وأظهرها، وربما يتصوّر أنّ الضمير يرجع إلى الشمس، فحلف سبحانه بالليل إذا غطّى الشمس وهو بعيد، فانّ الليل أدون من أن يغطى الشمس وإنّما يغطى الاَرض و من عليها.

والاَفعال الواردة فى الآيات السابقة كلها وردت بصيغة الماضى، (تلاها ، جلّاها) وإلّا فى هذه الآية فقد وردت بصورة المضارع

(يغشاها) فما هو الوجه؟

ذكر السيد الطباطبائى وجهاً استحسانياً وقال: والتعبير عن غشيان الليل الاَرض بالمضارع بخلاف تجلية النهار لها حيث قيل: (وَالنَّهار إذا جَلّاها * وَاللَّيل إِذا يَغْشاها) للدلالـة على الحال، ليكون فيه إيماء إلى غشيان الفجور الاَرضَ فى الزمن الحاضر الـذى هو أوائل ظهور الدعوة الاِسلامية. (۱_____)

۱ ـ الميزان:۲۰|۲۹۷.

( ۱۶۸ )

۶، ۷. (وَالسَّماء وَمابَناها) ، فحلف بالسماء وبانيها، بناء على أنّ «ما» موصولـة، وليست مصدريـة، بقرينـة الآيـة التاليـة حيث يحلف فيها بـالنفس وخالقهـا ومسوِّيها، وغلبـة الاستعمال على «ما» الموصولـة فى غير العاقل لم يمنع من استعمالها فى العاقل أيضاً، قال سبحانه: (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَالنِّساءِ). (۱)

ولعلّ استعمال «ما» مكان «من» لاَجل أنّ الخطاب كان موجهاً إلى قوم لا يعرفون اللّه بجليل صفاته، وكان القصد منه أن ينزلوا فى هذا الكون منزلة من يطلب للاَثر موَثراً فينتقل من ذلك إلى معرفة اللّه تعالى، فعبّر عن نفسه بلفظة «ما» التى هى الغاية فى الاِبهام. (۲)

وفى ذكر السماء وبنيانها إلماع إلى أنّه يمتنع أن يكون رهن الصدفة، بل لا يتحقق إلّابصانع حكيم قد أحكم وضعها وأجاد بناءها، خصوصاً بناء الكواكب التى ترتبط أجزاوَها البعض بالبعض، ولولا هذا الترابط لما كان لها تماسك.

۸، ۹ . (وَالاَرْض وَما طَحاها) حلف بالاَرض وطاحيها والطحو كالدحو، وهو البسط، وإبدال الطاء من الدال جائز، والمعنى وسَّعها.

وقد أشار إلى وصف الاَرض فى آية أُخرى وقال: (الّذى جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً) (۳) فحلف سبحانه بالاَرض وبما جعلها لنا فراشاً.

والاَرض كوكب من الكواكب التى تدور حول الشمس وتتبعها فى سيرها أينما سارت، وهى الكوكب الخامس من حيث الحجم، والثالث من حيث القرب من بين الكواكب التسعة التى تتكون منها المجموعة الشمسية_____.

۱ ـ النساء:۳.

۲ ـ تفسير المراغى:۳۰|۱۶۷.

۳ ـ البقرة:۲۲.

( ۱۶۹ )

والاَرض تكاد تكون كرة، إلّا أنّها منبعجة قليلاً عند خط الاستواء ومفلطحة عند القطبين. (۱)

۱۰، ۱۱. (وَنَفْسٍ وَما سَوّاها)، فالمراد من النفس هى الروح، قال سبحانه: (أَخْرِجُوا أَنفُسكُمْ) (۲) وقال: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فى أَنْفُسكُمْ فَاحْذَرُوهُ) (۳)

وقال: (تَعْلَمُ ما فى نَفْسِى وَلا أَعْلَمُ ما فى نَفْسِكَ). (۴)

فاذاً المراد من تسويتها إعطاوَها القوى الكثيرة الظاهرة والباطنة، فتسوية النفس هو تعديل قواها من الظاهرة والباطنة، ولو أُريد من النفس الروح والجسم فتسوية الجسم هو إيجادها بصورة متكاملة.

وأمّا تنكير النفس، فلاَنّه أراد كلّنفس من النفوس من دون أن يختص بنفس دون نفس، وربما يحتمل أن يكون التنكير إشارة إلى نفس خاصة، وهى نفس النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمعنى الاَوّل هو الاَوضح بقرينة انّه أخذ يحلف بالكائنات الحيّة وغير الحيّة.

إلى هنا تمّ بيان الحلف بأحد عشر أمراً، وهذه الآيات تشتمل على أكثر الاَقسام الواردة فى القرآن الكريم.

ثمّ إنّبعض من ينكمش من الحلف بغير اللّه سبحانه يرى نفسه أمام هذه الآيات، ويحس عجزاً فى المنطق، ويقول: المراد هو ربّ

الشمس والقمر وهكذا، ولكنّه غافل انّه لا يمكن تقديره فى الآيتين الاَخيرتين أى :(وَالسَّماء وَما بَناها *

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث:۲۵.

۲ ـ الاَنعام:۹۳.

۳ ـ البقرة:۲۳۵.

۴ ـ المائدة:۱۱۶.

( ۱۷۰ )

وَالاَرض وما طَحاها) إذ ينقلب معنى الآيتين أقسم بربّ السماء وربّ ما بناها أى ربّانيها، وهكذا الحلف بربّ الاَرض وما طحاها، أى ربّ طاحيها.

إلى هنا تمّ الحلف بهذه الموجودات السماوية والاَرضية والحية وغير الحية.

أخبر سبحانه بأنّه بعد ما خلق النفس وسوّاها واكتملت خلقتها ظاهراً وباطناً، علّمها سبحانه التقوى والفجور، وفهم من صحيح الذات ما هو الحسن والقبيح، وقد تعلّم ذلك فى منهج الفطرة، وقد استعمل كلمة «ألهم» لاَنّه بمعنى إلقاء الشىء فى روع الاِنسان من دون أن يعلم الملهم من أين أتى، والاِنسان يعلم من صميم ذاته الحسن والسيّء من دون أن يتعلّم عند أحد.

وقد أشار سبحانه إلى هذا النوع من الهداية الباطنية فى آيات أُخرى، وقال: (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَين). (۱)

ولما حلف بالموجودات السماوية والاَرضية غير الحيّة والحيّة، وانّه قد ألهم النفس الاِنسانية طرق الصلاح والفلاح، أو طرق الشر والضلال، أتى بجواب القسم، وهو قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْخابَمَنْ دَسّاها) ، فجعل «زكاها» مقابل «دساها» فيعلم معنى الثانى من الاَوّل، فقال: (وَقَدْخابَمَنْ دَسّاها) .

والتزكية هو التطهير من الآثام، مقابل التدسيس، وهى إخفاء الرذائل والذنوب.

انّ قوله: (دسّاها) مشتق من التدسيس، وهو إخفاء الشىء من الشىء، والتدسيس مصدر دسّس، وهو من دسس يدسس تدسيساً، ومعنى الآية فالاِنسان

---

۱ ـ البلد:۱۰.

( ۱۷۱ )

هو فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما، والتزكية هى الاِتمام والاِعلاء بالتقوى، لاَنّ لازم التطهير هو الاِنماء كما أنّ التدسية النقص والاِخفاء بالفجور.

والمقسم عليه: هو قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْخابَمَنْ دَسّاها)، وربّما يتصوّر أنّ جواب القسم محذوف.

قال الزمخشرى: إنّ جوابه محذوف تقديره ليدمدمنّ اللّه على أهل مكة لتكذيبهم رسول اللّه كما دمدم على ثمود لاَنّهم قد كذبوا صالحاً.

وأمّا قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها) فكلام تابع لقوله: (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم فى شىء. (۱)

يلاحظ عليه: أنّه لو كان جواب القسم هو ما قدّره، يفقد الجواب الصلة اللازمة بينه و بين الاَقسام الكثيرة الواردة فى سورة الشمس، ولا مانع من أن يكون قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها) جواب القسم، بأن يكون تابعاً لقوله: (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها).

وعلى ما ذكرنا فالصلة بين الاَمرين واضحة، وهى أنّه سبحانه يذكر نعمه الهائلة فى هذه الآيات التى لو فقد البشر واحداً منها لتوقفت

عجلة الحياة عن السير نحو الاَمام، فمقتضى إفاضة هذه النعم وإنارة الروح بإلهام الفجور والتقوى هو المشى على درب الطاعة، وتزكية النفس دون الولوج فى طريق الفجور وإخفاء الدسائس الشيطانية_____.

١ ـ الكشاف:٣|٣۴٢.

## الفصل السابع عشر

الفصل السابع عشر القسم فى سورة الليل

حلف سبحانه فى سورة الليل بأُمور ثلاثة: (اللَّيل إذا يَغْشى) ، (النَّهار إذا تَجَلّى) و( ما خلق الذكر والاُنثى) .

وقال سبحانه: (وَاللَّيل إِذا يَغْشى * وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى * وَما خَلَقَ الذَّكَر وَالاُنثى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشتّى). (١) تفسير الآيات ١. (وَاللَّيل إِذا يَغْشى) أقسم بالليل إذا يغشى النهار، أو يغشى الاَرض، ويدل على الاَوّل، قوله: (يُغشِى اللَّيلَ النَّهار ) (٢) بمعنى يأتى بأحدهما بعد الآخر ، فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ويحتمل المعنى الثانى، كما فى قوله فى سورة الشمس:(وَاللَّيل إِذا يَغْشاها) .

٢. ( وَالنَّهار إِذا تَجَلّى) عطف على الليل، والتجلّى ظهور الشىء بعد خفائه، وقد جاء الفعل فى الآية الاُولى بصيغة المضارع وفى الآية الثانية بصورة الماضى وفقاً لسورة الشمس كما مرّ.

٣. (وَما خَلَقَ الذَّكَر وَالاُنثى) و«ما»موصولة كناية عن الخالق البارىَ للذكر

---

١ ـ الليل:١ـ ۴.

٢ ـ الاَعراف:۵۴.



والاُنثى، سواء أكان من جنس الاِنسان أو من جنس الحيوان، وتطبيقه فى بعض التفاسير على أبينا آدم وزوجه حوّاء من باب التمثيل لا التخصيص.

وأمّا جواب القسم: هو قوله: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى)، وشتى جمع شتيت، كمرضى جمع مريض، و المراد تشتت السعى، فانّ سعى الاِنسان لمختلف وليس منصبّاً على اتجاه واحد، فمن ساع للدنيا ومن ساع للعقبى، ومن ساع للصلاح والفلاح، ومن ساع للهلاك والفساد.

ثمّ إنّه سبحانه صنّف المساعى إلى قسمين،وقال فى الآيات التالية بأنّ الناس على صنفين: فصنف يصبُّ سعيه فى طريق العطاء والتقى والتصديق بالحسنى، فنُيسّر لليسرى، وصنف آخر يصبُّ سعيه على ضدّما ذكر فيبخل ويستغنى بما لديه، ويكذب بالحسنى، فنُيسر للعسرى.

قال: (فَأَمّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى * وَصَدَّقَ بِالحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسرى * وَأَمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى). (١)

والصلة بين المقسم به والمقسم عليه: واضحة، وهى أنّه سبحانه أقسم بالمتفرقات خلقاً وأثراً على المساعى المتفرقة فى أنفسها وآثارها، فأين التقوى والتصديق من البخل والتكذيب_____؟!

١ ـ الليل: ۵ ـ ١٠.



## الفصل الثامن عشر

الفصل الثامن عشر القسم فى سورة الضحى

حلف سبحانه فی تلک السورة بأمرین، أحدهما الضحی، والآخر: (اللَّیل إذا سَجی) ، وقال: (وَالضُّحی * وَاللَّیلِ إذا سَجی * ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَما قَلی * وللآخِرةُ خَیرٌ لَکَ مِنَ الأُولی * وَلَسوفَ یُعْطیکَ رَبُّکَ فَترضی). (۱) تفسیر الآیات المراد من الضحی وقت الضحی، وهو صدر النهار حتی ترتفع الشمس وتلقی شعاعها، قال سبحانه: (وَأَنْ یُحْشَرَ النّاسُ ضُحی) . (۲)

وقوله: (وَاللیلِ إذا سَجی) أی واللیل إذا سکن، یقال: سجی البحر سجواً، أی سکنت أمواجه، ومنه استعیر تسجیة المیت، أی تغطیته بالثوب، والمراد إذا غطی اللیلُ وجه الأرض وعمّت ظلمتُه جمیع أنحاء البسیطة.هذا هو المقسم به.

وأمّا المقسم علیه: فهو ما جاء عقبه، أی ما ترکک یا محمد ربّک وما أبغضک منذ اصطفاک.(وللآخِرةُ خَیرٌ لَکَ من الأُولی) أی ثواب الآخرة والنعیم الدائم فیها خیر لک من الدنیا الفانیة.(ولَسَوفَ یُعْطیکَ رَبُّکَ فَتَرضی) أی سوف

---

۱ ـ الضحی:۱ ـ ۵.

۲ ـ طه:۵۹.



یعطیک ربّک فی الآخرة ما یرضیک من الشفاعة والحوض وسائر أنواع الکرامة.

وروی أنّ محمد بن علی بن الحنفیة، قال: یا أهل العراق، تزعمون أنّأرجی آیة فی کتاب اللّه عزّوجلّ هو قوله تعالی: (قُلْ یا عِبادِیَ الّذِینَ أَسْرَفُوا عَلَی أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّه) (۱) إنّا أهل البیت نقول: أرجی آیة فی کتاب اللّه، هو قوله: (وَلَسَوفَیُعطیکَ رَبُّکَ فَتَرضی) وهی واللّه الشفاعة، لیعطینّها فی أهل لاإله إلاّاللّه حتی یقول: ربّی رضیت. (۲)

وقد ذکر المفسرون فی شأن نزول الآیة: انّه احتبس الوحی عنه خمسة عشر یوماً، فقال المشرکون: إنّمحمداً قد ودّعه ربّه وقلاه، ولو کان أمره من اللّه تعالی لتتابع علیه، فنزلت هذه السورة.

هذا ما یذکره المفسرون، ولکن الحقّ انّه لم یکن هناک أیُّ احتباس وتأخیر فی نزول الوحی، وذلک لأنّه جرت سنّة اللّه تعالی علی نزول الوحی تدریجاً لغایات معنویة واجتماعیة، وقد أشار الذکر الحکیم إلی حکمة نزوله نجوماً فی غیر واحدة من الآیات، قال سبحانه:(وَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَولا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِیلاً).(۳)

فالآیة تعکس فکرة المشرکین حول نزول القرآن وکانوا یتصورون أنّ القرآن کالتوراة، یجب أن ینزل جملة واحدة لا نجوماً وعلی سبیل التدریج، فأجاب عنه الوحی، بأنّ فی نزوله التدریجی تثبیتاً لفؤاد النبی «صلی الله علیه وآله

---

۱ ـ الزمر:۵۳.

۲ ـ مجمع البیان:۵|۵۰۵.

۳ ـ الفرقان:۳۲.



وسلم» ، لتداوم الصلة بین الموحی والموحی إلیه بین الحین والحین.

وهذا بخلاف ما لو نزل جملة واحدة وأوصد فیها باب الوحی، وانقطعت صلة النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بالسماء، ففی صورة استدامة الوحی والصلة بینه وبین اللّه سبحانه یعیش النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) تحت ظل إمدادات غیبیة تعقبه إزالة الصدأ العالق علی قلبه من خلال مجابهة المشرکین والکافرین، بخلاف الثانی، ففیه إیماء إلی انقطاع الصلة حینها یجد النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» نفسه وحیداً دون من یعضده ویسلّیه ویذهب عنه همّ القلب.

ففی الحقیقة لم یکن هناک طارئة باسم احتباس الوحی أو تأخیره، وإن زعم المشرکون نزول الوحی نجوماً احتباساً وتأخیراً له.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فلا تخلو من وضوح:

١. لَانّ نزول الوحى يناسب الضحى، كما أنّ انقطاعه يناسب الليل.

٢. لَانّ عماد الحياة هو مجيئ الليل عقب النهار، لا استدامة النهار ولا استدامة الليل، فهكذا الحال فى عماد الحياة النبوية الذى هو نزول الوحى نجوماً تثبيتاً لقلب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣. ولَانّ الضحى والليل نعمة من نعم اللّه سبحانه منّ بها على عباده لما لهما من تأثير مباشر فى استقرار الحياة وهكذا الحال فى نزول الوحى نجوماً.

( ١٧٧ )

## الفصل التاسع عشر

الفصل التاسع عشر القسم فى سورة التين

حلف سبحانه فى سورة التين، بأُمور أربعة: التين، الزيتون، طور سينين، البلد الَامين، قال سبحانه: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهـذَا الْبَلَدِ الَامين * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فى أَحْسَنِ تَقْويم * ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ * إِلاّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) . (١) تفسير الآيات (التين والزَّيتُون) فاكهتان معروفتان، حلف بهما سبحانه لما فيهما من فوائد جمّة وخواص نافعة، فالتين فاكهة خالصة من شآئب التنغيص، وفيه أعظم عبرة لَانّه عزّ اسمه جعلها على مقدار اللقمة، وهيّأها على تلك الصورة إنعاماً على عِباده بها.

وقد روى أبو ذر الغفارى عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أنّه قال: «لو قلت انّ فاكهة نزلت من الجنة، لقلت: هذه هى، لَانّ فاكهة الجنة بلا عَجَمْ (٢) فانّها تقطع البواسير، وتنفع من النقرص». (٣)

وأمّا الزيتون فانّه يعتصر منه الزيت الذى يدور فى أكثر الَاطعمة، وهو إدام، والتين فاكهة فيها منافع جمّة_____.

١ ـ التين:١ ـ ٦.

٢ ـ العجم: نوى التمر، أو كل ما كان فى جوف مأكول كالزبيب.

٣ ـ مجمع البيان: ٥|٥١٠.

( ١٧٨ )

ذكر علماء الَاغذية أنّه يمكن الاستفادة من التين كسكر طبيعى للَاطفال، ويمكن للرياضيين ولمن يعانون ضعف كبر السنّأن ينتفعوا منه للتغذية، حتى ذكروا أنّ الشخص إن أراد توفير الصحة والسلامة لنفسه فلابد له أن يتناول هذه الفاكهة، كما أنّ زيت الزيتون هو الآخر له تأثير بالغ فى معالجة عوارض الكُلَى، حتى وصفها سبحانه بأنّه مأخوذ من شجرة مباركة، ولا نطيل الكلام فى سرد فوائدهما. (١) هذا وربما يفسر التين بالجبل الذى عليه دمشق، والزيتون بالجبل الذى عليه بيت المقدس.

وهذا التفسير وإن كان بعيداً عن ظاهر الآيات، ولكن الذى يدعمه هو القسم الثالث والرابع ـ أعنى: الحلف بـ(طور سينين * والبلد الَامين) ـ إذ على ذلك يكون بين الَامور الَاربعة السالفة الذكر صلة واضحة، ولعل إطلاق اسم الفاكهتين على الجبلين لكونهما منبتيهما، والإقسام بهما، لَانّهما مبعث جمّ غفير من الَانبياء.

ثمّ إنّ المراد من طور سينين، هو الجبل الذى كلّم اللّه فيه موسى (عليه السلام) ، وقال: (إِنّى أَنَا رَبّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوادِ المُقدَّسِ طُوى) (٢) وقال: (إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ المُقَدَّسِ طُوى) (٣) وقال سبحانه مخاطباً موسى (عليه السلام) : (وَلكِنِ انْظُر إِلى الْجَبَل فَإِن اسْتَقَرَ مَكانَهُ فَسَوفَ تَرانى فَلَمّا تَجلّى رَبّه لِلجَبَل جَعَلهُ دَكّاً وخَرّ مُوسى صَعِقاً) . (۴_____)

١ ـ فمن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب علماء الَاغذية وما أُلّف فى هذا المضمار.

۲ ـ طه:۱۲.

۳ ـ النازعات:۱۶.

۴ ـ الأعراف:۱۴۳.

( ۱۷۹ ) البلد الأمين وقد ذكر لفظ البلد فى دعاء إبراهيم، حيث قال: (وَإِذْقالَإِبْراهيم رَبِّ اجْعَل هذا بَلَداً آمِناً وَارزُق أَهْلَهُ مِنَ الثَّمراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَاليَوم الآخر ) (۱) وقال أيضاً: (رَبِّ اجْعَل هذا البلد آمناً وَاجْنُبْنى وَبَنىّ أن نَعْبُد الأَصْنام) . (۲)

وقد أمر سبحانه نبيّه الخاتم، أن يقول: (إِنَّما أُمرت أن أَعبُدَ ربَّ هذه البَلْدة الّذى حرّمها ولَهُ كُلّ شىء وَأُمرت أن أكون من المُسلمين) . (۳)

وقد جاء ذكر البلد فى بعض الآيات كناية، قال سبحانه: (انَّ الّذى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآن لَرادّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبّى أَعْلَم مَنْ جاءَبِالهُدى وَمَنْهُوَفى ضَلالٍ مُبين) . (۴)

والمراد من قوله (إلى معاد) هو موطنه الذى نشأ فيه.

وقد روى المفسرون فى تفسير الآية انّه لما نزل النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بالجحفة فى مسيره إلى المدينة لما هاجر إليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرئيل (عليه السلام) ، فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك، فقال: نعم. قال جبرئيل: فإنّ اللّه، يقول:(إنَّ الّذى فَرَضَعَلَيْكَ القُرآن لَرادّكَ إِلى مَعاد) يعنى مكة ظاهراً عليها، فنزلت الآية بالجحفة، وليست بمكية ولا مدنية، وسمّيت مكة معاداً لعوده إليها. عن ابن عباس. (۵)

كما ذكر أيضاً فى آية أُخرى بوصفه وقال: (أَوَ لَمْ يَرَوا انّا جَعَلْنا حَرماً آمِناً

---

۱ ـ البقرة:۱۲۶.

۲ ـ إبراهيم:۳۵.

۳ ـ النمل:۹۱.

۴ ـ القصص:۸۵.

۵ ـ مجمع البيان:۷|۲۶۸.

( ۱۸۰ )

وَيُتَخَطَّف النّاسُ منْ حَولهِم أَفَبالباطِل يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّه يكْفُرون) . (۱)

وقد وصف سبحانه البلد بالأمن وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، وقد جعله وصفاً فى بعض الآيات للحرم، قال سبحانه: (أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَهُمْ حَرماً آمناً يجبى إليهِ ثَمرات كلّ شَىْءٍ رِزْقاً من لَدُنّا وَلكِنّ أَكثَرهم لا يَعْلَمُون) (۲)

وفى آية أُخرى يقول:(أَوَ لَمْ يَرَوا أَنّا جَعَلْنا حَرَماً آمناً وَيُتَخَطَّف النّاسُ من حَولهِمْ أَفَبالباطل يؤمنون وبنعمة اللّه يكفرون) . (۳)

والمراد من هذا الأمن هو الأمن التشريعى، بمعنى أنّه سبحانه حرم فيه القتل والحرب حتى قطع الأشجار والنباتات إلاّ بعض الأنواع مما تحتاج إليه الناس، والذى يوضح أنّ المراد من الأمن هو الأمن التشريعى لا التكوينى قوله سبحانه: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِلَلَّذى بِبَكّةَ مُباركاً وَهُدىً لِلْعالَمين * فِيه آياتٌ بَيِّنات مَقامُ إِبراهيم وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَللّه عَلى النّاسِحِجُّ الْبَيْت مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللّه غَنِىٌّ عَن الْعالَمين) . (۴)

فالآية الأُولى تحكى عن تشريع خاص، وهو أنّ الكعبة أوّل بيت وضعت لعبادة الناس، ويدل على ذلك أنّ فيه مقام إبراهيم، كما أنّ الآية الثانية تبيّن تشريعاً آخر، وهو وجوب حجّ البيت لمن استطاع إليه، وبين هذين التشريعين جاء قوله: (وَمَنْ دَخَلَهُ كانَآمِناً) وهذا دليل على أنّ المراد من الأمن هو الأمن التشريعى لا التكوينى، ولذلك كان الطغاة يسلبون الأمن عن هذا البلد بين آونة وأُخرى.

۱ ـ العنكبوت:۶۷.

۲ ـ القصص:۵۷.

۳ ـ العنكبوت:۶۷.

۴ ـ آل عمران:۹۶ـ ۹۷.

( ۱۸۱ )

ويشير إلى الاَمن بقوله سبحانه: (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرام قِياماً لِلنّاسِوَالشَّهْرَ الحَرامَ) (۱) وصف البيت بالحرام، حيث حرّم فى مكانه القتال، وجعل الناس فيه فى أمن من حيث دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

فهذه الآيات تشير إلى مكانة البلد الذى احتضن البيت الحرام، ذلك المكان المقدس الذى حاز على أهمية بالغة عند المسلمين على اختلاف نحلهم، فإليه يوجّه الناس وجوههم فى صلواتهم وفى ذبائحهم وعند احتضار أمواتهم.

وفضلاً عن ذلك فانّه يعد ملتقىً عبادياً وسياسياً لحشود كبيرة من المسلمين، وما يترتب عليه من نتائج بناءة على صعيد مدِّ جسور الثقة بين كافة النحل الاِسلامية. وبتبعه حاز البلد على مكانة مقدسة جعلته صالحاً للقسم به. المقسم عليه المقسم عليه للاَقسام الاَربعة ـ أعنى: التين، الزيتون، طور سينين، البلد الاَمين ـ هو قوله سبحانه: (لَقَدْخَلَقْنَا الاِنْسانَ فى أَحْسَنِ تَقْويم * ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلين) فيقع الكلام فى أمرين:

أ: ما هو المراد من خلق الاِنسان فى أحسن تقويم ثمّ ردّه إلى أسفل سافلين؟

ب: ما هى الصلة بين الاَقسام الاَربعة وهاتين الآيتين اللتين هما المقسم عليه للاَقسام الاَربعة.

أمّا الاَوّل فربّما يقال: انّ المراد من خلق الاِنسان فى أحسن تقويم هو جودة

۱ ـ المائدة:۹۷.

( ۱۸۲ )

خلقه واستقامة وجوده من صباه إلى شبابه إلى كماله فيتمتع بكمال الصورة وجمال الهيئة وشدة القوة، فلم يزل على تلك الحال حتى يواجه بالنزول أى رده إلى الهرم والشيخوخة والكهولة فتأخذ قواه الظاهرة والباطنة بالضعف، وتنكس خلقته، قال سبحانه: (وَمَنْنُعَمِّرهُ نُنَكِّسْهُ فِى الخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ) (۱) لكن هذا التفسير لا يناسبه الاستثناء الوارد بعده قال سبحانه: (إِلاّالّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون) أى غير مقطوع.

فلو كان المراد من الآية ما جرت عليه سنّة اللّه تعالى فى خلق الاِنسان فهى سنّة عامة تعم المؤمن والكافر والصالح والطالح، مع أنّه يستثنى المؤمن الصالح من تلك الضابطة.

فالاَولى تفسير الآيتين بالتقويم المعنوى، وردّه إلى أسفل سافلين هو انحطاطه إلى الشقاء والخسران بأن يقال: انّ التقويم جعل الشىء ذا قوام، وقوام الشىء ما يقوم به ويثبت، فالاِنسان بما هو إنسان صالح حسب الخلقة للعروج إلى الرفيق الاَعلى، والفوز بحياة خالدة عند ربه سعيدة لا شقوة فيها، قال سبحانه: (وَنَفْسٍ وَما سَوّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) (۲) فإذا آمن بما علم ومارس صالح الاَعمال رفعه اللّه إليه، كما قال: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ) (۳)يس، وقال عزّاسمه: (يَرفَعِ اللّهُ الّذينَآمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجات)(۴) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ارتفاع مقام الاِنسان وارتقائه بالاِيمان والعمل الصالح مقاماً عالياً ذا عطاء من اللّه غير مجذوذ، وقد أشار فى آخر

۱ ـ يس:۶۸.

۲ ـ الشمس:۷ـ ۸.

۳ ـ فاطر:۱۰.

۴ ـ المجادلة:۱۱.

( ۱۸۳ )

هذه السورة إلى العطاء الدائم، بقوله: (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُون) .

وعلى ذلك يكون المراد من أسفل سافلين هو تردّى الاِنسان إلى الشقوة والخسران. (۱)

وأمّا وجه الصلة فلو قلنا بأنّ المراد من التين الجبل الذى عليه دمشق، وبالزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وهما مبعثا جمّ غفير من الاَنبياء، فالصلة واضحة، لاَنّهذه الاَراضى أراضى الوحى والنبوة فقد أوحى اللّه سبحانه إلى أنبيائه فى هذه الاَمكنة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى أحسن تقويم، ويصدهم عن التردى إلى أسفل سافلين.

وبعبارة أُخرى: إنّ هذه الاَماكن مبعث الاَنبياء ومهبط الوحى، فهوَلاء بفضل الوحى يهدون المجتمع الاِنسانى إلى الرقى والسعادة التى يعبر عنها القرآن بأحسن تقويم،ويحذرونه من الانحطاط والسقوط فى الهاوية التى يعبر عنها سبحانه بـ(أَسْفَلَ سافِلين) .

إنّما الكلام فيما إذا كان المراد من التين والزيتون، الفاكهتان المعروفتان اللتين أقسم اللّه بهما لما فيهما من الفوائد الجمّة والخواص النافعة، فعندئذٍلاتخلو الصلة من غموض، فليتدبر.

ولا يخفى انّ كلّالمخلوقات، من حيوان ونبات توحى بالجلال و الاحترام لها وبالجمال وكمال الخلق، وهى تبدو مبرمجة أو مخلوقة هكذا لا تحيد عن ذلك، فهل رأيت طيراً لا يبنى عشه أو لا يُطعمُ فراخه؟ أم رأيت حيواناً لم يهبه اللّه الذكاء والمقدرة على تحصيل رزقه، أو الدفاع عن نفسه؟ حقاً انّهذه المخلوقات لا تعرف الهزل، فهى جدّيّة ولكن فى وداعة، غريبة ولكن فى جمال، وبسيطة

---

۱ ـ الميزان:۲۰|۳۱۹ـ ۳۲۰.

( ۱۸۴ )

ولكن فى جلال آسر. إن كلاً منها تسير على الطريق التى اختطها الخالق لها طائعة ملبّية، وهى تسبّح بحمد ربّها كلّها. إنّها لا تعرف الكذب أو المصانعة، بل هى متّسقة مع نفسها ومع ما حولها، بل و مع الكون جميعاً. فى تناغم عجيب وجمال بديع. فتعالى اللّه الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين والباطن بجلال عزّته عن فكرة المتوهمين. (۱_____)

۱ ـ أسرار الكون فى القرآن:۲۸۳.

## الفصل العشرون

الفصل العشرون القسم فى سورة العاديات

حلف سبحانه فى هذه السورة بأُمور ثلاثة: العاديات، الموريات، المغيرات. قال سبحانه: (وَالعادِيات ضَبحاً * فَالمُورياتِ قَدحاً * فَالمُغيراتِ صُبحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً * إِنَّ الاِنْسانَلِرَبِّهِلَكَنُود * وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهيد * وَانّهُ لحبّ الخَيْر لَشديد) . (۱)

تفسير الآيات (العاديات) من العدو وهو الجرى بسرعة.«الضبح» صوت أنفاس الخيل عند عدوها، وهو المعهود المعروف من الخيل، ومعنى الآية أُقسم بالخيل التى تعدو وتضبح ضبحاً.

(فَالمُوريات قدحاً) فالموريات من الايراء وهو إخراج النار، و«القدح» الضرب، يقال: قدح فأورى: إذا أخرج النار بالقدح،والمراد بها الخيل التى تخرج النار بحوافرها حين ضربها الاَحجار

(فالمغيرات صبحاً) الإغارة: الهجوم على العدو بغتة بالخيل،وهى صفة أصحاب الخيل ونسبتها إلى الخيل بالمجاز والمناسبة،والمعنى: أُقسم بالخيل المغيرة على العدو بغتة فى وقت الصبح.

(فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) والنقع: الغبار، والمراد إثارة الغبار حين العدو، لما فى

---

۱ ـ العاديات:۱ـ ۸.

( ۱۸۶ )

الإغارة على العدو بالخيل من إثارة الغبار. والضمير فى «به» يرجع إلى العدو المستفاد من قوله: والعاديات، والباء للسببية.

(فوسطن به جمعاً) فلو قلنا بتشديد السين يكون المعنى حاصروا الأعداء، ولكن القراءة المعروفة هى بلا تشديد الفعل فيكون معناه أى صاروا فى وسط الأعداء بما انّ هجومها كان مباغتاً خاطفاً استطاعت فى بضع من اللحظات أن تشق صفوف العدو وتشن حملتها فى قلبه وتشتت جمعه.

ثمّ الضمير إمّا يرجع إلى العدو المستفاد من قوله: (والعاديات) أو إلى النقع فيكون المعنى فوسطن صباحاً أو فى خضمِّ النقع صفوف الأعداء.

ويحتمل أن يرجع الضمير إلى الصبح، ويكون الباء بمعنى «فى» أى وسطن فى الصبح جمعاً.

وعلى كلّ حال فالآيات تحلف بالخيول التى تسرع إلى ميدان الجهاد بسرعة حتى تضبح ويتطاير الشررَ من تحت حوافرها باستدامة ضرب الحافر للأحجار، وعند انجلاء الصبح تشنّ هجوماً شديداً يثير الغبار فى كلّ جانب ثمّ تتوغل إلى قلب العدو وتشتت صفوفه.

وهذا يعرب انّ الجهاد له منزلة عظيمة إلى حد استحق أن يقسم بخيوله والشرر التى تتطاير من حوافرها والغبار الذى تثيره فى الهواء.

هذا كلّه حول الأقسام، وأمّا جواب القسم، فهو قوله:(إِنَّ الإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود) والكنود، اسم للأرض التى لا تنبت ويطلق على الإنسان الكافر والبخيل، فكأنّه جُبِّل على نكران الحق وجحوده وعدم الإقرار بما لزمه من شكر خالقه والخضوع له. يقول سبحانه: (إِنَّ الإِنْسانَلَكَفُور ) (۱) وهو اخبار عمّا فى طبع

---

۱ ـ الحج:۶۶.

( ۱۸۷ )

الإنسان من اتّباع الهوى والانكباب على الدنيا والانقطاع بها عن شكر ربّه، وفيه تعريض للقوم المغار عليهم، بأنّهم كانوا كافرين بنعمة الإسلام، وهذا على وجه يشهد الإنسان على كفران نفسه، كما يقول: (وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهيد) .

ثمّ إنّه يدلّل شهادته على ذلك بقوله: (وَإِنَّهُ لحُبّ الخَير لَشَديد) والمراد من الخير المال.

ثمّ إنّ هذه الآيات لا تنافى ما دلت عليه آية الفطرة، قال سبحانه:(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينَ حَنيفاً فِطْرَةَ اللّهِالّتى فَطَرَالنّاسَ عَلَيها لا تَبديلَ لِخَلْقِاللّهِ ذلِكَ الدِّينُ القَيِّم وَلكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُون) . (۱)

وجه عدم التنافى انّ الإنسان كما جبل على الخير جبل على الشر أيضاً، فكما ألهمها تقواها ألهمها فجورها، وكما أنّه هداه إلى النجدين، ولكن السعادة هو من يستخدم قوى الخير ويتجنب قوى الشر.

والحاصل انّ الآيات القرآنية على صنفين: فصنف يصف الإنسان بصفات سلبية مثل قوله: (يوَس) (۲) (ظلوم كفّار ) (۳) (عَجُولاً) (۴) (كَفُوراً) (۵) (أكثر شىء جَدلاً) (۶)، (ظَلُوماًجَهُولاً) (۷)( كَفور مُبين) (۸) (هَلُوعاً) (۹) إلى غيرذلك

---

۱ ـ الروم:۳۰.

۲ ـ هود:۹.

۳ ـ إبراهيم:۳۴.

۴ ـ الإسراء:۱۱.

۵ ـ الاسراء:۶۷

۶ ـ الكهف:۵۴.

۷ ـ الأحزاب:۷۲.

۸ ـ الزخرف: ۱۵.

۹ ـ المعارج: ۱۹.

( ۱۸۸ )

من الصفات السلبية الواردة فى القرآن الكريم.

وصنف آخر يصفه بصفات إيجابية تجعله فى قمة الكرامة والعظمة.

فقد بلغت به الكرامة انّه صار «مسجوداً للملائكة» (۱) مخلوقاً بفطرة اللّه (۲)

منشأ بأحسن تقويم (۳) مفضلاً على كثير من المخلوقات (۴) حاملاً لأمانة اللّه (۵)

سائراً فى البر والبحر ومرزوقاً من الطيبات ومكرماً عند اللّه (۶) إلى غير ذلك من الآيات التى تصف الإنسان بصفات إيجابية.

ولا منافاة بين الصنفين من الآيات، وذلك لأنّ تلك الكرامة إنّما هى للإنسان الذى تمتع بكلا الوصفين، فهو عندما يلبّى نداء العقل والشرع ينل كرامته العليا، ويكون مظهراً لقوله:(وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفضيلاً) (۷) ولو خضع لدعوة النفس والهوى، يكون مظهراً للصفات السلبية، كفوراً يؤساً هلوعاً كنوداً إلى غير ذلك من الصفات الذميمة. فالكمال كلّالكمال لإنسان تكمن فيه قوى الخير والشر فيقوى إحداهما على الأُخرى بإرادة واختيار دون أى وازع، فلو جبل على إحدى القوتين دون الأُخرى لما استحق المدح ولا اللوم دون ما إذا كان فيه أرضية الخير والشر فيعالج أرضية الشر بتوجيهها نحو الخير والكمال، ولذلك نرى انّه سبحانه يستثنى بعد الحكم على الإنسان بقوله: (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ

---

۱ ـ الأعراف:۱۱.

۲ ـ الروم:۳۰.

۳ ـ التين:۴.

۴ ـ الإسراء:۷۰.

۵ ـ الأحزاب:۷۲.

۶ ـ الإسراء: ۷۰.

۷ ـ الإسراء:۷۰.

( ۱۸۹ )

سافِلين) الفئة المؤمنة العاملة بالصالحات ويقول:(إِلاّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون(۱) .

إلى هنا تبين المقسم به والمقسم عليه.

بقى الكلام فى الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فنقول:

إنّه سبحانه بعث الأنبياء لهداية الناس، فمنهم من يهتدى بكتابه وسنّته، فهذه الطائفة تكفيها قوة المنطق؛ وثمة طائفة أُخرى لا تهتدى،

بل تثير العراقيل فى سبيل دعوة الأنبياء، فهداية هذه الطائفة رهن منطق القوة، ولذلك يقول سبحانه:(لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلنا بِالبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتاب وَالمِيزان لِيَقُوم النّاس بِالقِسْط وَأَنْزَلْنا الحَديد فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاس) . (۲)

فهذه الآية موَلفة من فقرتين:

الفقرة الأُولى التى تتضمن البحث عن إرسال الرسل بالبيّنات وإنزال الكتب والميزان راجعة إلى من له أهلية للهداية فيكفيه قوة المنطق والفقرة الثانية، أعنى:(وَأَنْزَلْنا الحَديد ) فهى راجعة إلى من لا يستلهم من نداء العقل والفطرة ولا يهتدى بل يثير الموانع فلا يجدى معهم سوى الحديد الذى هو رمز منطق القوة.

وبذلك يعلم وجه الصلة بين إنزال الحديد وإرسال الكتب، وبهذا تبين أيضاً وجه الصلة بين الأقسام والمقسم عليه، ففى الوقت الذى كان النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» يعظ ويبعث رجال الدعوة لإرشاد الناس، اجتمعت طائفة

---

۱ ـ التين:۵ـ ۶.

۲ ـ الحديد:۲۵.



لمباغتة المسلمين والهجوم على المدينة والإطاحة بالدولة الإسلامية الفتية، فبعث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً مع سريّة، فأمر أن تسرج الخيل فى ظلام الليل وتعدّإعداداً كاملاً، وحينما انفلق الفجر صلّى بالناس الصبح وشنَّ هجومه وباشر و ما انتبه العدو حتى وجد نفسه تحت وطأة خيل جيش الإسلام ، فهذه الطائفة لا يصلحهم إلا العاديات والموريات والمغيرات التى تهاجمهم كالصاعقة.

نقل الفيض الكاشانى فى تفسيره عن تفسير القمى عن الصادق (عليه السلام) : «إنّها [سورة العادياتج نزلت فى أهل وادى اليابس، اجتمعوا اثنى عشر ألف فارس وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا أن لاـ يتخلّف رجل عن رجل ولا يخذل أحد أحداً، ولا يفر رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلّهم على حلف واحدويقتلوا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ».

إلى أن قال:

«خرج على (عليه السلام) ومعه المهاجرون والأنصار وسار بهم غير سير أبى بكر، وذلك انّه أعنف بهم فى السير حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب وتحفى دوابهم، فقال لهم: لاـ تخافوا فانّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمرنى بأمر وأخبرنى انّ اللّه سيفتح علىّ وعليكم، فأبشروا فانّكم على خير وإلى خير، فطابت نفوسهم وقلوبهم، وساروا على ذلك السير التعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونه ويريهم، أمر أصحابه أن ينزلوا، وسمع أهل وادى اليابس بمقدم على بن أبى طالب (عليه السلام) وأصحابه، فأخرجوا إليهم منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلمّا رآهم على (عليه السلام) خرج إليهم فى نفر من أصحابه.

فقالوا لهم: من أنتم، ومن أين أنتم، ومن أين أقبلتم، وأين تريدون؟ قال: أنا على بن أبى طالب (عليه السلام) ابن عمّرسول اللّهوأخوه ورسوله إليكم ادعوكم



إلى شهادة أن لا إله إلاّاللّه وانّ محمّداً عبده ورسوله، ولكم ان آمنتم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين من خير وشر، فقالوا له: إياك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك، فخذ حذرك واستعد للحرب العوان، واعلم انّا قاتلوك وقاتلوا أصحابك والموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد اعذرنا فيما بيننا وبينك.

فقال لهم على (عليه السلام) : ويلكم تهدّدونى بكثرتكم وجمعكم، فأنا أستعين باللّه وملائكته والمسلمين عليكم ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلى العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم وانصرف على إلى مركزه، فلمّا جنّه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوّابهم ويقضموا ويسرجوا، فلمّا انشق

عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثمّ غار عليهم بأصحابه فلم يعلموا حتى وطأهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وخرب ديارهم وأقبل بالأُسارى والأَموال معه.

فنزل جبرئيل وأخبر رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بما فتح اللّه على علىّ (عليه السلام) وجماعة المسلمين.

فصعد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح اللّه على المسلمين، وأعلمهم انّه لم يصب منهم إلاّ رجلين، ونزل فخرج يستقبل عليّاً (عليه السلام) فى جميع أهل المدينة من المسلمين حتى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة، فلمّا رآه على (عليه السلام) مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى التزمه وقبّل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى على (عليه السلام) حيث نزل رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» وأقبل بالغنيمة والأُسارى و ما رزقهم اللّه من أهل وادى اليابس».

ثمّ قال جعفر بن محمد (عليهما السلام) : «ما غنم المسلمون مثلها قط إلاّ أن يكون من خيبر، فانّها مثل خيبر وأنزل اللّه تعالى فى ذلك اليوم هذه السورة:

( ۱۹۲ )

(وَالعاديات ضبحاً) يعنى بالعاديات: الخيل تعدو بالرجال،والضبح ضبحها فى أعنّتها ولجمها.

(فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً) فقد أخبرك انّها غارت عليهم صبحاً.

(فأثرن به نقعاً) قال: يعنى الخيل يأثرن بالوادى نقعاً.

(فوسطن به جمعاً * إِنَّ الإِنسان لربّه لكنود * وانّه على ذلك لشهيد * وَانَّهُ لحبّ الخَيرِ لَشديد) قال: يعنيهما قد شهدا جميعاً وادى اليابس وكانا لحب الحياة حريصين». (۱)

بلغ الكلام إلى هنا فى شهر جمادى الأُولى

من شهور عام ۱۴۲۰ هـ من الهجرة النبوية

فى قم المحميّة وحوزتها المصونة

وتم بيد موَلّفه الآثم المحتاج إلى ربّه العاصم جعفر السبحانى

ابن الفقيه الشيخ محمد حسين الخيابانى التبريزى تغمده اللّه برحمته الواسعة

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة)

تحتَ عنايـة سـماحة آيـة الله الحـاجّ السيّد حسن الإمـاميّ – دامَ عِزّهُ – و مـع مساعَـدَةِ جمـعٍ من خِرّيجى الحـوزات العلميّـة و طلاـب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّـى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلى التّحَرّى الأـدَقّ للمسائـل الدّينيّـة، تخليف المطـالب النّافعـة – مكـانَ البَلاـتيثِ المبتذلـة أو الرّديئـة – فى المحـاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسـيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققين و الطّلاّب، توسـعة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّـه يُمكِن تسـريعُ إبراز المَرافِق و التسـهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِـهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹